الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم

فى ضوء العلوم اللغوية الحديثة

أ. د / محمد محمد داود

الأستاذ بكلية الآداب والتربية ـ جامعة قناة السويس

والأمين العام للمركز العالمى للقرآن الكريم وعلومه "جمعية المعرفة"

وعضو المجلس الدولى للغة العربية

Dr.mohameddawood@yahoo.com

http://www.mohameddawood.com/

المحتويات

مُقدِّمة ٥

الإعجاز والبيان ٧

مفهوم الإعجاز ٧

حقيقة المعجزة وشرائطها ٧

تعدُّد وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم ٨

مفهوم البيان ٩

شروط وصف الكلام بالبيان ١١

غاية البيان ١١

الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم فى ضوء علم اللغة الحديث ١٢

تمهيد ١٢

أولاً : إعجاز الحرف / الصوت المفرد ١٣

ثانيًا: إعجاز الكلمة القرآنية ٢١

١. أصوات الكلمة القرآنية ٢١

٢. النظم الصوتى للكلمة القرآنية ٢٥

٣. الوزن الصرفى للكلمة القرآنية ٣١

أ- اليسر والسهولة ٣١

ب- دقة الكلمة القرآنية فى التعبير عن المعنى ٣٢
١ ـ اختلاف صيغة الفعل ٣٥
٢ ـ اختلاف صيغة المصدر ٤٤
٣ ـ اختلاف صيغ المشتقات.....٥٤
٤ ـ اختلاف صيغ الجموع..... ٦١
٥ ـ الفروق الدلالية بين الإفراد والجمع ٦٤
٤. روح الكلمة القرآنية وظلالها الدلالية ٦٧
ثالثًا: إعجاز النظم القرآنى ٧٣
١. إعجاز النظم القرآنى على مستوى الآية ٧٣
أ- الإحكام والتماسك بين كلمات الآية ٧٧
ب- الفاصلة فى القرآن الكريم (قيمة صوتية لها وظيفة دلالية) ..٧٨
جـ - من أسرار التقديم والتأخير فى غير الفاصلة ٨٧
٢. إعجاز النظم القرآنى على مستوى السورة.....٨٩
أ- الإحكام والتماسك بين الآيات داخل السورة (السياق) ٨٩
ب- الإحكام والتماسك بين بداية السورة وختامها ٩٠
جـ - الإحكام والتماسك بين سور القرآن الكريم ٩١
٣. إعجاز المجاز القرآنى ٩٤
هوامش البحث.....٩٨
مؤلفات الدكتور محمد داود.....١٠٧

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبى الله ورسوله سيدنا محمد، رحمة الله للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فهذا بحث فى الإعجاز البيانى فى ضوء العلوم اللغوية الحديثة، التى تقوم على دراسة اللغة دراسة علمية، ولقد جاءت البحوث اللغوية المعاصرة التى تقوم على المناهج الحديثة تشهد للإعجاز القرآنى فى جوانبه المختلفة.

ويشمل هذا البحث بعد هذه المقدمة جملة من الموضوعات التى تتكامل فيما بينها، بدأ البحث ببيان مفهوم الإعجاز، وشروطه، ووجوهه، ثم حدَّد البحث ـ فى تركيز شديد ـ مفهوم البيان لغةً واصطلاحًا، ثم جاء صُلْب البحث فى بيان الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم فى ضوء العلوم اللغوية الحديثة، ويشمل:

- إعجاز الحرف/ الصوت المفرد، ويلحق به إعجاز الحركة.
- إعجاز الكلمة القرآنية (على المستوى الصوتى والوزن الصرفى، وخصوصية الدلالة للكلمة القرآنية).

- إعجاز النظم القرآنى: (إحكام التماسك والتناسق):

- إحكام التماسك والتناسق على مستوى الآية.

- إحكام التماسك والتناسق على مستوى الفاصلة فى القرآن الكريم.

- إحكام التماسك والتناسق على مستوى السورة.

- إحكام التماسك والتناسق بين سور القرآن الكريم.

هذا، وأسأل الله تعالى أن يكتب النفع بهذا البحث،وأن يتقبَّله بقبول حسن، فهو ولى ذلك والقادر عليه.

]) (* , - . / 0 Z (البقرة).

وصل ٍّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليما ً كثير ً ا.

والحمد لله رب العالمين.

جمعية المعرفة

المركز العالمى للقرآن الكريم وعلومه

محمد محمد داود

١/٦/٢٠١٢م

الإعجاز والبيان

مفهوم الإعجاز:

• **لُغةً:** يقول ابن منظور: يقال عَجَزَ يَعْجِزُ عن الأمر، إذا قصر عنه وضعف، والمعجزة اسم فاعل من الإعجاز، وسُمِّيت بذلك لعجز الناس عن معارضتها[1].

• **واصطلاحًا:** بلوغ القرآن في درجات البلاغة والفصاحة مَبْلَغًا تَعْجِزُ القُوَّةُ البَشَرِيَّةُ عن معارضته بالإتيان بمثله في اللَّفظ والمعنى والنَّظْمِ خُلُوُّهُ من جميع العيوب وأوْجُهِ النَّقْص والقُصور والتَّناقُض والاختلاف[2].

حقيقة المعجزة وشرائطها:

المعجزة: واحدة معجزات الأنبياء الدَّالَّة على صدْقهم صلوات الله عليهم، وسُمِّيَتْ مُعْجِزَةً؛ لأن البشر يَعْجِزُونَ عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسةٌ، فإن اختَلَّ شرطٌ منها لا تكون معجزةً:

- **الشرط الأول:** أنْ تكونَ لا يقدِرُ عليها إلا الله تعالى.
- **الشرط الثاني:** تخْرِقَ العادة.
- **الشرط الثالث:** يستشهدَ بها مُدَّعي الرِّسالة على صدق رسالته.

- **الشرط الرابع**: أن يأتى بما يقع على وفق دعوى المتحدِّى بها.

- **الشرط الخامس**: ألا يأتى أحدٌ بمثْل ما أتَى به مدعى الرسالة؛ ولهذا قال الله تعالى:] 3 4 5 6 7 8 9 Z [الطور]، وقال تعالى:] ! " # % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 Z [هود].

تعدُّد وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم:

تعدَّدت وْجوه الإعجاز عند العلماء بين مجْمَلٍ ومُفصَّل، ويمكن إجمال المسألة فى أربع جهات ترجع إليها وجوه الإعجاز المختلفة:

- **الجهة الأولى**: بلوغه الغاية القُصْوَى ممَّا يمكن أنْ يبلغه الكلام العربى البليغُ، من حصول كيفيات نظْمه مفيدة معانىَ دقيقةً ونكتًا (أى دقائق) من أغراض الخاصَّة من بُلَغاء العرب ممَّا لا يفيده أصل وضع اللغة، بحيث يكثر فيه ذلك كثرةً لا يدانيها شىء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم.

- **الجهة الثانية**: أبدعه القرآن من أفانين التصرُّف فى نظم الكلام ممَّا لم يكن معهودًا فى أساليب العرب، ولكنه غير خارجٍ ممَّا تسمح به اللغة.

▪ **الجهة الثالثة:** ما أودع فيه من المعانى الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقليَّة والعلميَّة ممَّا لم تبلغ إليه عقول البشر فى عصر نزول القرآن وفى عصور بعده متفاوتة ، وهذه الجهة أغفلها المتكلمون فى إعجاز القرآن من علمائنا، مثل أبى بكر الباقلانى والقاضى عياض"[٣].

▪ **الجهة الرابعة:** وقد عدَّ كثيرٌ من العلماء من وجوه إعجاز القرآن ما يُعَدُّ جهة رابعة، هى ما انطوى عليه من الإخبار عن المغيَّبات، مما دلَّ على أنَّه منزلٌ من علام الغيوب.

● إذا كان القرآن الكريم قد نزل بلسان عربى مبين ، فإعجازه خاصٌّ بالعرب، فهل بقى لغير العرب شىء من إعجاز القرآن؟!

إعجاز القرآن من الجهتين الأولى والثانية متوجِّه إلى العرب؛ إذ هو معجز لفصحائهم وشعرائهم، والقرآن معجز من الجهة الثالثة للبشر قاطبةً إعجازًا مستمرًّا على مرِّ العصور، أودع الله ﷻ فيه من الحُجَّة الحيَّة المستمرَّة الباقية إلى يوم القيامة، بما أودع فيه من حقائق العلوم الكونيَّة التى لم يكن للبشريَّة علمٌ بها بأى وجه من الوجوه وقت نزول القرآن الكريم.

مفهوم البيان:

● **لُغةً:** بُيِّن به الشىء، وبان الشىء بيانًا اتَّضح[٤]، فالمراد

بالبيان: إيصال المعنَى المراد بوضوح.

• **واصطلاحًا:** هو اسم جامع لكل شيء كشف للقناع عن المعنى، وهتك الحجب عن المراد للاستيضاح، يهيمن السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل؛ لأن مدار الأمر، والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع إنَّما هو الفهم والإفهام، فبأى شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذاك هو البيان، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقَّة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبْيَنَ وأنْوَرَ، كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان(٥).

وقد ذكر الله تعالى جميل نعمته فى تعليم البيان وعظيم منَّته فى تقويم اللِّسان فقال عز من قائل: [M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !] الرحمن، وقال تبارك وتعالى: [h g f e d c b a ` _ ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i] إبراهيم؛ لأنَّ مدار الأمر على البيان والتبيين وعلى الإفهام والتفهيم، وكُلَّما كان اللبيب أبْيَنَ كان أحمد، كما أنَّه كلما كان القلب أشدَّ استبانةً كان أحمَدَ (٦).

شروط وصف الكلام بالبيان:

ولكى يتَّصف الكلام بالبيان لابدَّ أنْ يجمع وجوهَ الحُسْنِ وأسبابَه وطُرُقَه، من سلامة النَّظم وحسنه وبهجته، وحسن موقعه فى السمع، وسهولة اللسان، ووقوعه فى النفس موقع القبول بحيث يكونُ له من الوقع فى القلوب والتمكن فى النفوس ما يذهل ويبهج، ويقلق ويؤنس، ويطمع ويؤيس، ويضحك ويبكى، ويحزن ويفرح، ويسكن ويزعج، ويشجى ويطرب... وله مسالك فى النفوس لطيفة ومداخل إلى القلوب دقيقة(٧).

غاية البيان:

غايةُ البيان والبلاغة قوَّة الأداء المصحِّحة لسموِّ التَّعبير مع الدقَّة، وإبداعُ الصورة مع جمال الصورة(٨).

الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم
فى ضوء علم اللغة الحديث

تمهيد:

يقوم علم اللغة الحديث على دراسة اللغة دراسة علمية تقوم على دراسة حقائق النص اللغوى فى بيئته اللغوية،معتمداً فى ذلك على مناهج محددة، يناسب بحثنا هذا منها المنهج الوصفى من خلال نظرياته: (المجال الدلالى ـ السياق بنوعيه اللغوى وغير اللغوى ـ التحليل التكوينى للمعنى)، بهدف وصف الحقائق لا فرض القواعد؛ يعنى دراسة اللغة دراسة وصفية وليست معيارية.

ويميز الدرس اللغوى الحديث بين مستويات البحث اللغوى:

- المستوى الصوتى.
- المستوى التركيبى.
- المستوى الصرفى.
- المستوى الدلالى.

ويهدف ذلك كله إلى الخروج بالبحث اللغوى من الذاتية إلى الموضوعية؛ كى يصل بالباحث إلى حقائق تُعبر تعبيراً صادقاً عما يتضمنه النص اللغوى من دلالات وظلال للمعانى بعيداً عن فرض معانٍ من خارج النص اللغوى على النص، أو التكلُّف الذى يلوى عنق النص

لإثبات معنى فى نفس الباحث ولا يؤدى إليه النص، ومـن نافلـة القـول أن الدرس اللغوى الحديث له أصول تراثيـة فى ثقافتنـا العربيـة، ولـيس غريبًا على العربية.

وفـيما يـلى بيـان لظـواهر الإعجـاز فى كـل مسـتوى مـن المسـتويات الأربعة:

أولا: إعجاز الحرف/ الصوت المفرد:

للحرف/ الصوت المفرد فى القرآن الكـريم تفـرُّدٌ وتميُّـز، مـن حيـثُ المناسبة بين صوت الحرف المفرد ومعنى الكلمة التى هو جزءٌ منهـا، بـل يمتدُّ هذا التَّميُّز والتَّفرُّد إلى توظيف الحركـة المصـاحبة للحـرف فى بيـان المعنى المراد على نحوٍ متفرِّد.

إنَّ الإيحاء الصوتى فى القـرآن يـنهض بـه الصـوت اللغـوى وحـده، مفردًا كان أو مركَّبًا، فيصوِّر المعنى ـ الذى فى السياق ـ بدقَّـة، بحيـث لا يسدُّ آخرُ مسَدَّه.

- فمن الأصـوات المفـردة (الصـوائت ***Vowels***): ألـف المـدِّ ويـاء المدِّ[٩]؛ إذ لهـما إيحـاءان صـوتيان متغـايران يستشـعرهما السـامع النابـه، أحدهما (صاعد) بألف المدِّ، والآخر (هابط) بيـاء المـدِّ، وكلاهمـا ورد فى سياق واحد، هو قوله ﷻ:

] وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ Z [ق].

فعند الوقوف فى التلاوة على لفظة (باسقات) تُمَدُّ الألف فيها ست حركات، وهو المدُّ العارض للسكون، وهذا الامتداد إلى علوٍّ فى بُسوق النخلة وارتفاعها فى الجوِّ بتلك الرشاقة الجميلة، التى تنتهى فى أعلاها بذلك السعف الجميل المتهدِّل على جوانب قمَّتها من كل جهة، حتى إنها لتبدو كالفتاة الفرعاء.

فإذا تلا القارئ بعد ذلك لفظة (نضيد)، ووقف على حرف الدال، استشعر السامع بهذا المدِّ الهابط (الياء) خلاف ما استشعره بذلك المدِّ الصاعد الذى فى (باسقات)؛ إذ يستشعر بسمعه قبل بصره هذا التنضيد الذى فى الطَّلْعِ، وقد غُطِّى بغطائه الربَّانى الجميل ذى الرائحة الذكية.

• ومن إيحاء الأصوات المفردة فى تعبير القرآن: إيحاء (الهمزة)، وإيحاء (الهاء) فى سياقيهما؛ إذ ورد كلٌّ منهما فى سياق مغاير ـ دلاليًّا ـ لسياق الآخر، وهذا يعود إلى تغاير صفة كل منهما من الناحية الصوتية، وإنْ كانَا من مخرجٍ واحد هو الحنجرة؛ إذ الهمزة صوت شديدٌ انفجارىٌّ، على حين عُدَّت الهاء من الأصوات الرِّخوة المهموسة الضعيفة.

• فإذا تدبَّرْنَا الكتاب المعجز المبين ـ القرآن الكريم ـ وجدنا الهمزة

فيه قد وردت فى سياق يوحى بالشدة والعنف متمثلاً بهذا التركيب الفعلى المؤكد بالمصدر فى قوله ﷻ:

[T U V W X Y Z [\ ] Z [مريم].

ووجدنا (الهاء) قد وردت فى سياق مغاير له بل هو مضادٌّ له دلاليًّا من حيث الإيحاء؛ إذ وردت فى تصوير ما أُمِرَتْ به مريم ابنة عمران عليها السلام: [Î Ï Z [مريم: ٢٥]، حين أتاها الطَّلْق، فضاقت بذلك ذرعًا؛ إذ كيف يُولَدُ لها ولدٌ وهى لم تتزوج بَعْدُ؟ فكان النداء الذى مُطَمْئِنًا لها من ناحية، وآمرًا إياها بهزِّ جذع النخلة أَوَتْ إليه لتستظلَّ وتَسْتَتِرَ بها بعد أن أمرها ألاَّ تحزن من ناحية أخرى، وهذا مناسب لسياق اللين والحنان، وذلك بقوله ﷻ:

[Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï

Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö Z [مريم].

فقال الله ﷻ: (أُزِّى) هنا، ولم يقل: (أُزِّى)، كما قال فى آية إرسال الشياطين على الكافرين: (تؤزُّهم)، ولم يقل: (تهزُّهم)؛ وذلك للفارق الدلالى بين السياقين: سياق الشدة والعنف، وسياق اللِّين والحنان، فى تَوَازٍ مع الفارق الصوتى بين الهمزة الشديدة المجهورة والهاء المهموسة، وهذا من رائع بيان القرآن ودلائل إعجازه.

وإذا كان إيحاء (الألف) فى فواصل آيات مريم جميلا ً باعثًا على التأمُّل المُفْضى إلى شكر النعمة، فإنَّ للألف فى غير هذا السياق إيحاء آخر َ ؛ نحو قوله ﷻ:

[ ] \ [^ _ ` Z [القيامة].

إذ نجدها فى هذا الموضع تُوحِى بالكِبْر ِ والاستعلاء فى تصوير مِشْيَة كافرٍ من قريش، غَرَّتْهُ مظاهر الدنيا الفانية من مال وجاه وولد؛ فإيقاع الآية مشعر بمِشْية الكِبْر ِ لدى هذا المشرك المتعالى، بل يهمُّنا كثيرً ا هنا هذه اللفظة التى وقعت فاصلة، وهى: (يتمطَّى)؛ إذ وردت لامُها ألفًا، وهى الطاء الثانية فى أصل الكلمة، وأصلها: (يتمطَّط)، ولكنَّ التعبير القرآنى عدل عن الطاء التى فى آخر اللفظة إلى الألف بدلا ً منها، لا لمجرَّد اتِّساق حروف الروى ـ كما فى الشعر ـ فيها مع سائر الفواصل التى تَلَتْها، مثل: (أَوْلَى) و(يُهْدَى) و(يُمْنَى) و(فَوَى)[10].

إنَّ هذا ملحظٌ شكلى ليس هو المراد هنا، وإنْ كان له قيمته الصوتية الإيقاعية المؤثرة فى نفس المتلقِّى، وإنما ورد لفظ (يتمطَّى) عدولا ً عن أصله الطائى (يتمَطَّطُ) إلى الألف الواقعة حرف رَوِى للفاصلة؛ إيحاء ً بتبختر صاحب هذه المِشْيَة، وإشعار ً ا بما امتلأت به نفسه من الزهو والخُيَلاء الفارغين من بواعث الحق والخير؛ إذ معنى (يتمطَّى) فى

اللغة: يتبختر، وأصله يتمطَّطُ ؛ أى: يتمدَّد؛ لأنَّ المتبختر يمدُّ خطاه، وقيل: هو من المطا، وهو الظَّهر؛ لأنه يلويه عند سيره(١١).

ويهمنُّا هنا كيف رسَمَ المدُّ الصوتى بالألف هذه المشية المكروهة المنهى عنها، فإذا قرأنا (يتمطَّى) بأداء صوتى دقيق فى التجويد، فأعطينا الطاء الشديدة المطبقة المكررة بالتشديد حقها من الأداء الصوتى، وأتبعناها مَدَّة الألف واقفين عليها ـ حاكت الصورةُ الصوتيةُ بذلك تلك المشية الممقوتة مشية التلوِّى صعودًا إلى الأعلى ونزولاً ؛ وذلك من التصوير الفنى فى القرآن عن طريق الإيحاء الصوتى، مضافًا إلى الدلالة اللغوية الأصلية للفظة، التى تعرفها العرب فى تحاورها.

• ومن الإيحاء الصوتى الإفرادى: المدُّ بالألف الموحِى بالندم والتوجُّع النفسى، فى مثل قول الكافر فى يوم القيامة، وقد وقف بين يدى ربه للحساب:

[Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö Z [الزمر: ٥٦].

وهنا نشعر صوتيًّا بتوجُّعه وندمه بهذين المدَّيْن اللَّذَيْن اكتنفا التعبير، وهما مدُّ (يا) ومدُّ (تا) فضاعفا إحساس المتلقِّى بندم المُلْقَى المرير، فضلاً عما فى نداء الحسرة بحرف النداء (يا) من تشخيص استعارى للحسرة، حين جعلها تُلَدَى كما يُلَدَى العاقل، وهذا من بليغ بيان لغة التنزيل.

• ومن الإيحاء الصوتى بالشعور بالندم: ما تحدثه (هاء السكت) فى قول من فَرَّطَ فيما ينبغى عليه أداؤه إزاء ربِّه وأهله؛ قال الله ﷻ:

] Z É Ç Æ Å Ä [الحاقة].

فهذه الهاء إذا وَقَفَ عليها القارئ أشبهت الحسرة فى انطلاقها من صدر المتحسرِّ لندمه.

• وليس التفرُّد والتميُّز للصوت/ الحرف المفرد فقط، بل المدهش حقاً هو تميُّز وتفرُّد المناسبة بين الحركة والمعنى، على نحو ما نجد فى الأمثلة الآتية:

- تدبَّر الفتحتين (التنوين) فى كلمة (عيونًا) فى قوله تعالى:

] Z T S R Q P O N M L K [القمر]، فإنك تجد المناسبة بين الفتحتين فى كلمة (عيونًا) وبين حركة الماء المتفجِّر إلى أعلى من باطن الأرض.

- وفى المقابل تدبَّر الكسرتين (التنوين) فى كلمة (منهمرٍ) فى قوله تعالى:] Z J I H G F E [القمر]، تجد المناسبة بين الكسرتين وبين حركة الماء المنهمر من أعلى إلى أسفل.

- ومن المناسبة والتناسق بين نوع الحركة والمعنى ما نجده فى قوله تعالى:] » ¬ ® ¯ ° ± ² ³ لَهَا ¶ ¸ ¹ º

«Z [فاطر: ٢]، وبتأمل حركة الكاف فى كلمة (يمسك) فى الآية نجد أن السكون فى الثانية موافق لمعنى الإمساك؛ لما لها من إغلاق وعدم حركة، فى حين أن الأولى (ممسك) مفتوحة، وهى مناسبة لمعنى فتح الرحمة من الله تعالى.

-أيضًا قول الله تعالى:] & ' Z [الفاتحة: ٢]، الجملة تُعَدُّ من مقول القول، فكان مقتضاها: (الحمد) بفتح الدال، على تقدير: أقول:الحمدَ لله، فلماذا عُدِلَ عن النصب إلى الرفع، على تقدير قولى: الحمدُ لله؟

الجواب لعُدِلَ عن النصب إلى الرفع للدلالة على أن الحمد ثابت لله تعالى أزلاً، وإن لم يحمده أحدٌ؛ فقد حمد نفسه بنفسه قبل أن يحمده الخلق، وعليه، فالجملة خبرية ـ لا إنشائية ـ لفظًا ومعنًى، وهو أولى الأقوال وأفصحها فى هذه الجملة.

-أيضًا قوله تعالى:] a » Z [القصص: ٤]، التشديد فى (يذبِّح) فيه دلالة على الكثرة والعنف والقسوة فى حدث الذبح، الذى يعبرِّ عن جحود قلب فرعون فى تعذيب من خالفه من قومه؛ ولذلك جاءت على التشديد بدلاً من (يذبح) بدون تشديد(١٢).

- ومن التناسق الصوتى المتفرِّد فى القرآن والذى يعبرِّ عن قيمة

دلالية ما نجده فى كلمة (ضُر) و(ضَر) فى السياقات المتنوعة فى القرآن، فإذا جمع بين النفع والضر فتحت الضاد؛ للتناسق الصوتى بين النفع والضر ؛ ولأن الضر بالفتح ضد النفع، وإذا أفرد الضر ضُمَّت الضاد، والضر بالضم معناه: الهزال وسوء الحال، وكل ما كان من سوء حال وفقر أو شدة في بدن فهو ضر ، وما كان ضد النفع فهو ضر ، وتكررت كلمة (الضر) بالضم تسع عشرة مرة؛ منها:

[Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ë Ì Í

Ï Ð Ñ Ò Ó Z [الأنعام].

[n o p q r s t u v w x y

z { | } ~ ¡ ¢ £ Z [يونس: ١٢].

[7 8 9 : ; < = > ? Z [يوسف: ٨٨].

وتكررت كلمة (الضر) بالفتح فى القرآن الكريم عشر مرات؛ منها:

[À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Í

Î Ï Ð Ñ Z [المائدة].

[! " # $ % & ' ( ) * + Z [الأعراف: ١٨٨].

- وقد يكون الإيحاء الصوتى فى تعبير القرآن الكريم مقطعيًّا وليس

إفراديًّا، كالذى فى لفظة (دَمَ) فى قوله ﷻ:

[\ ] ^ a Z [الشمس].

حين عقروا ناقةَ اللهِ التى ألا يمسُّوها بسوء فغضب الله ﷻ عليهم، فدمَّر قريتهم، فجاء التعبير بهذا اللفظ (دَمَ)، بدلالة مزدوجة، إحداهما (لغوية)، وهى الأصلية، أو كما يسميها المعاصرون: (مركزية) أو (أساس)، والدلالة الأخرى (إيحائية)، وهى لون من الدلالة الثانوية، أحدثَها إيقاع اللفظة.

وأمَّا وصف هذه اللفظة (دَمْدَم) بأنها مقطعية فلأنها ذات مقطعين متماثلين هما (دَمْ دَمْ)، فلما فى اللفظة مكررَّين أشعر جرْسُهما بالدوِّى بما يشبه القصف (دَمْدَمَ) وهذه الدلالة الإضافية صعَّدت استشعار الشدَّة والغضب فى تصوير هذه العقوبة الإلهية العادلة، بمن لم يرْعَ لله حُرُمَه مثلُه فى (زلزلَ).

ثانيًا: إعجاز الكلمة القرآنية:

١ـ أصوات الكلمة القرآنية:

تتآلَف الأصوات وتتعانق على مستوى الكلمة القرآنيَّة تآلُفًا تفرَّدت به، وفى هذا السياق المعجز اختفت ـ بطبيعة الحال ـ ما تعانى منه الكلمة خارج القرآن الكريم من تنافُر أصواتها أحيانًا فقد نَحَّى القرآن الكريم

عن العربية التقعُّر فى الكلام والألفاظ الحوشيَّة الثقيلة على السمع، على نحو ما نرى فى كلمات: "جحيش"، و"مستشزرات"، و"جحلنجح"، و"البخصات"... إلخ.

من ذلك أيضًا ما روته كتب اللغة لأبى محلِّم فى أواخر القرن الثانى من كتاب له إلى بعض الحذَّائين فى نعل، قال هذا المتقعِّر: «هَمَّتْ تأتدن، فلا تخلِّها تمخدُّ، أو تقعل، فإذا التَّثَمْتَ فامسحها خبرة قوعيرية جلا مبتعسها معسارقًا، ثم شُرتك وأمهفإذا رأيت عليها مثل الهبوة فسُنَّ رأس الإزميل ثم أنحها فكِّفْ جوانبها وأقبلبها نسين أفطسين غير خطين أصولا عين، وليكونا من أيم صافى البغير كدش ولا لم ولا نوأشٍ خصْ فى مهل من نقار النُّغَر[١٣]!!

وانظر قول القائل:

فاحذرْ ولا تكْرِ كَيًّا أعْوَجَا
عِلْجًا سليلا فى بناء فَنْجَجَا[١٤]!

وتأمَّلْ تكرار صوت الكاف والعين والجيم على مسافات متقاربة؛ مما يثْقُل على السمع واللسان، حتى يضيق به الناطق ويَمُجَّه السامع

وتَنْبُو عنه القلوب.

وإليك مثالاً مما أورده صاحب "نظام الغريب فى اللغة" لكلمة معروفة للعرب قاطبة هى "اللبن"، ومن مرادفاتها:

لبن أُمْهُجانٌ، وأُمْهَج بالفتح وأُمْهُوج أيضًا: اللبن الخالص. والماضر: اللبن الحامض ومنه سُمِّيَت المضيرة، ومثله الخاثور والضَّيَاح: اللبن الممزوج بالماء والرِّسْل: اللبن الحليب نفسه. والمذيق: اللبن الممزوج بالماء، والصريح الخالص والعُنْجَالِط والعُجَلِط: الرائب الغليظ. والرُّوبة بغير همز: اللبن الحامض القارُوبِّ به الحليب والعَكِيّ بتشديد الياء: اللبن الحامض والهُجْمة والهَجِيمة: اللبن قبل أن يحمض. والحاذر اللبن الحامض، فإذا تقطَّعَ وصار اللبن ناحية والماء ناحية فهو ذَقْرٌ، فإن تكبَّدَ بعضه على بعض وحمض فلم يتقطع فهو إذْلِق والعُشَلِط والهُدَبِد إذا خَثَر منه وتلبَّد والصَّقْر: أحمض ما يكون من اللبن، فإذا صُبَّ عليه حليب فهو الرَّائثة والمُضَّة. والعكيل اللبن الحليب يُصَبُّ على مَرَق والنَّخِيلة: الضأن يُصَبُّ على لبن المعز والصَّحيرة: الحليب المسخن حتى يطرق والسَّمْهَج والسَّمْلَج اللبن إذا كان حلوًا دسمًا. والمُعاز والمُهالة اللبن يختلط بعضه ببعض عند المخض. والصَّرْب والصَّرَب: أحمض ما يكون من اللبن والسَّجَأْج: قَمْ ما

يكون من اللبن، والْمَهْوَلوالْجُور مثلوالنَّس ْء: الحليب إذا مزج بالماء، والنَّسِى مثله[١٥].

بينما اكتفى القرآن بكلمة واحدة هى (اللبن)، ولا عجب أن غابت كل تلك الكلمات الغريبة عن واقع الاستعمال اللغوى، وبقيت الكلمة القرآنية؛ لقد كان القرآن بمثابة غربال لأصوات العربية، ومصفاةً لها أخرجت منها ما ينبو عنه السمع وما يثقل على اللسان، والناظر فى هذا الكتاب الكريم يجد بين دفتيه أمثلة ناصعة للنقاء الصوتى والسلاسة وتجسيد المعنى عن طريق الصوت بصورة متميزة، بل ومتفردة لا نجد لها مثيلاً فى أرقى مستويات الفصاحة اللغوية لهذه اللغة.

كذلكنَحَّى القرآن الكريم كثيرًا من الألفاظ التىعبر عِّن معانٍ لا قِيرُّ ها الإسلام، من ذلك:

-المِر ْباع»: وهو ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية.

- «النشيطة»: وهى ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى القوم، أو ما يغنمه الغزاة فى الطريق قبل بلوغ الموضع المقصود.

- «المكس»: وهى دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق الجاهلية.

وقد سُمُويٌّتلغوىٌّ مع السُمُوِّ الخُلُقِى الذى أتَى به القرآن

الكريم، وسبحان من هذا كلامه!

٢. النظم الصوتى للكلمة القرآنية:

النظم الصوتى للكلمة القرآنية متفرِّدٌ معجزٌ فى تعبيره عن المعنى المراد، على نحو ما نجد فى الكلمات الآتية:

- **يصطرخون**؛ قال تعالى:

] وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا

Ä Ã Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶

Z È Ç Æ Å [فاطر].

فكأن ارتفاع الصوت بالصراخ ومشاركتهم جميعًا فيه، وتكرار ذلك منهم لا يكفى يُعبر عنه بالفعل المجرد (يصرخون)، فجاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة، ولإشباع معنى الصراخ ودلالة ارتفاع الصوت تحولت التاء إلى الطاء المفخمة؛ ليكون فى تفخيمها زيادة مبالغة فى المعنى.

- **واصطبر**؛ قال تعالى:

[¡ ¢ £ ¤ ¥ § ¨ © « ¬ ¯

Z ± ° [طه].

فالتعبير عن قوة تحمل وسعة الصدر والحلم مع الرفق لا يكفيه

التعبير بـ (اصبر)، ولا بزيادة تاء الافتعال (اصتبر ـ افتعل)، بل للمبالغة فى قوة الصبر فى أعلى درجاته حوَّل التاء المرقَّقة إلى الطاء المفخَّمة لتكون (اصطبر).

واصطبر الشخص ضبرَ وانتظر فى هدوء واطمئنان دون شكوى، فالاصطبار: شدة الصبر على الأمر الشاق؛ لأن صيغة الافتعال تأتى لإفادة قوة الفعل وتحوُّل التاء إلى الطاء المفخَّمة فيه زيادة مبالغة فى المعنى.

- **تصطلون**؛ قال تعالى:

, + *) (' & % $ # " [
8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . -
9 : ; < = Z [القصص].

تصطلون من صادَ قلبِ)، واصطلى النار استدفأ بها من البرد، والطاء فيه مبدلة من تاء الافتعال للدلالة على شدة الحاجة إلى النار لما أصابهم من شدة البرد؛ فالاصطلاء: الدنو من النار لتدفئة البدن عند شدة الشعور بالبرد الشديد.

- **اصطفى**؛ قال تعالى:

V U T R Q P O N M L [

W X Z [الحج].

يصطفى من مادة (صفو)، واصطفى فلانًا اختاره وفضله، وهو مأخوذ من الصفو أو الصافى؛ أى الشىء الخالص من الكدر ومما يشين، لذلك حُوِّلت التاء إلى طاء للدلالة على دقة التحرِّى فى الاختيار والتفضيل.

- **نضطرهم**؛ قال تعالى:

[| { ~ نَضْطَرُّهُمْ ¡ ¢ £ ¤ Z [لقمان].

نضطرهم من مادة (ضرر)، الاضطرار: الاحتياج إلى الشىء، وهو من الضرورة، والمراد بالاضطرار: الإلجاء والقسر والإلزام.

الاضطرار على وزن افتعال لَمَّا التاء لم يحسن لفظه مع الضاد، وهذا من باب التناسق الصوتى، وسبب دلالى آخر هو التعبير عن قوة معنى الاضطرار.

- **مطلعون**؛ قال تعالى:

[. / 0 1 2 Z [الصافات].

مطلعون من مادة (طلع)، الطِّلع بالكسر اسم من اطَّلَعَ (افتعل) من طلع للمبالغة فى حصول فعل الطلوع وهو الارتقاء، ولذلك يقال لمكان الطلوع: مطلع بالتخفيف ومطلع بالتشديد، ومن أجل هذا أُطلق

الاطلاع على الإشراف على الشيء؛ لأن الذى يروم الإشراف على مكان محجوب عنه يرتقي إليه من علوٍّ ، فالأصل أن فعل "اطلع" قاصر غير محتاج إلى التعدية.

وقَوْله تَعالى:] / 0 1 ، فالقراءة الجيِّدة الفَصيحة بتشديد الطاء وفتح النون ، وهى القراءة الجيِّدة الفَصيحة، أى أنتُم تحبُّون أن تَطَّلِعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار(١٦).

- **القصاص**؛ فى قوله تعالى:

] ¤ ¥ ¦ § Z [البقرة: ١٧٩].

ذكر السيوطى فى "الإتقان" عن الفرق بين قولـه تعـالى:] ¤ ¥ ¦ § Z، وبين المثل العربى: "القتل أَنْفَى للقتل" عشرين وجهًـا تمتاز بها العبارة القرآنية، من ذلك:

- أن فى المثل توالى أسباب كثيرة خفيفة، وهو السكون بعد الحركـة، وذلك مُستكرَه.

- سلامة الآية من تكرير قلقلـة القـاف الموجـب للضـغط والشـدة وبعدها غُنَّة النون (كما فى المثل).

- اشتمال الآية على حروف متلائمة، لما فيها من الخروج من القـاف

إلى الصاد؛ إذ القاف من حروف الاستعلاء والإطباق، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التى هى حرف منخفض، فهو غير ملائم للقاف، وكذا الخروج من الصاد إلى الخاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة؛ لبُعْد ما بين طرف اللسان وأقصى الحنك.

- سلامة الآية من لفظ (القتل) المُشعر بالوحشية، بخلاف لفظ (الحياة)؛ فإن الطباع أميل له من لفظ (القتل)[١٧].

- **ضيزى**؛ فى قوله ﷻ:

] » ¬ ® ¯ ° Z [النجم].

و(ضيزى) تعنى: جائرة ظالمة، لكن لفظ (ضيزى)جاء هنا ليحقِّق غرضين هما: رعاية الفاصلة التى غلبت فيها الألف المقصورة، وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير فى: "المثل السائر" [١٨]، والثانى: الإيحاء ـ بما فى الضاد من تفخيم ـ إلى أن الجور فى هذه القسمة لا مزيد عليه؛ فهناك مناسبة بين اللفظ والمعنى والسياق الذى ورد فيه، وإلى هذا ذهب مصطفى صادق الرافعى[١٩].

ولفظ (ضيزى) فى هذا الموضع لايَدُّ مَسَدَّهغير ُه؛ لأن السورة كلها مجموعة على الألف المقصورة من أولها إلى آخرها؛ لذا جاءت السورة جميعها عليه.

على أن كلمة (ضيزى) من الألفاظ المتفردة في تركيبها أيضًا؛ إذ ليس في كلام العرب صفة على وزن (فِعْلى)، قال الجوهرى: ليس في الصفات فِعْلَى صفة، وإنما هذا في الأسماء كالشِّعْرَى والدِّفْلَى [٢٠].

- ومن التناسق بين إيجاد الصوت ومعنى الكلمة قوله تعالى:

] ¥ ¦ § ¨ © Z [الإنسان].

حيث يوحى لفظ (سلسبيل) بالسلاسة والسهولة ويسر الاستساغة؛ وذلك لما بين اللفظين (سلسبيل ـ سلاسة) من شركة فى بعض الحروف.

هذا فى مقابل الإيحاء فى جهة الضد للمعنى السابق، كما فى قوله ﷻ:

] ® ¯ ° ± Z [النبأ].

حيث إن مادة (غسق) فى القرآن منها: الغسق والغاسق والغساق ـ توحى أن القسط المشترك بين هذه المشتقات: الدلالة على أمور كريهة؛ فالغسق: الظلمة، والغاسق: الليل الشديد الظلمة، والغساق: شيء كريه لا يشرب، وفسر ه بالصديد، وتستفاد هذه الدلالة لغويًّا من إيحاء الغين والقاف هنا، ومثله فى التفسير قوله تعالى:

] ! " # $ % & ' Z [المطففين].

] I J K L M N O Z [الغاشية].

والضريع نبات شوكي، وإيحاء لفظ (ضريع) في الطعام يفيد ذلا يؤدي إلى تضرع كل منهم وسؤال الله العفو عن ذلك، يقابله في المعنى على الجهة الأخرى قوله تعالى:

] Z n m l k j i h [[المطففين].

] Z Ì Ë Ê É È Ç [[يوسف: ٥١] (٢١).

٣. الوزن الصرفي للكلمة القرآنية:

أ- اليسر والسهولة:

إن نظرة إلى قوائم جذور القرآن تثير مجموعة من الملاحظات المهمة:

أولها أن القرآن قد استعمل جذورًا ثلاثية، وغير ثلاثية، غير أن الثلاثية أغلب فمجموعها ألف وستمائة وستة عشر جذرًا ثلاثيًّا، في حين أن ما فوق الثلاثي بلغ سبعة وأربعين جذرًا، أكثرها رباعي.

ومعنى ذلك أن لغة القرآن تعتمد على استخدام الجذور الثلاثية أساسًا، وهو ما يدلُّ على طبيعة اللغة العربية؛ لأصل أنها دائمًا ذات طابع ثلاثي، وإنما يأتي ما فوق الثلاثي في المرتبة الثانية، وقد اقتصد القرآن في استخدام هذا النوع، رغم أنه وفير في العربية؛ حتى إن نسبة استخدام ما فوق الثلاثي إلى الثلاثي لا تزيد عن (٢,٨٥%)، وهذا

جدول يلخِّص ما نودُّ أن نقوله[٢٢]:

المصدر	الثلاثى	الرباعى	الخماسى	المجموع	ملاحظات
معجم تاج العروس	٧٥٩٧	٤٠٨١	٣٠٠	١١٩٧٨	نسبة الجذور القرآنية إلى جذور اللغة عامة: ١٣,٨٧%
القرآن	١٦١٦	٤٥	١	١٦٦٢	

والجذور الرباعية هى الغالبة فيما فوق الثلاثى؛ إذ بلغت عدتها خمسة وأربعين جذرًا، وأما الخماسى فهو جذر واحد فى كلمة (سلسبيل)[٢٣]، وهذا يؤكد اختيار القرآن لليسر والسهولة فى الوزن الصرفى للكلمة القرآنية.

ب- دقة الكلمة القرآنية فى التعبير عن المعنى:

وأشار إلى هذه الخصوصية الراغب الأصفهانى فى مقدمة كتابه: "مفردات غريب القرآن"، وكذلك أشار إليها ابن عطية الأندلسى فى مقدمة تفسيره: "المحرر الوجيز" فقال: "ووجه إعجاز القرآن أن الله قد أحاط بكل شىعلماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذارتَبَّت اللفظة من

القرآن لعَم بإحاطته أن اللفظة تصلح أن تلى الأولى وتبين ٍّ المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره... ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقِّحها حولا ً كاملا ً، ثم تُعرِضُ الآخر نظيره، فيأخذها بقريحة ٍ جاشةٍ مستريحة ٍ، فيبُدِّل فيها ويُنقِّح، ثم لا يزال كذلك فيها مواضع ٍ للنظر والبَدَل ٍ... وكتاب الله لو زُعِمَ أنه لفظة ثم دأْبُ يرِ لسان العرب في أن يُوجَد أحسن منها لم يوجد..." (٢٤).

وأعقِّب فأقول: يُمكن أنْ تُستَبْدَل َ كلمةٌ في سياقها بأخرى من خارج القرآن الكريم أو حتى من القرآن الكريم نفسه.

لقد جاء الاستعمال القرآني للكلمة مُعجزً ا في دقَّة التَّعبير عن المعنى دون زيادة أو نقصان وعلى نحو متفرِّد، ومن أمثلة هذا في القرآن:

- **إبليس ـ الشيطان:**

بتتبُّع آيات سورة طه التي تبين ٍّ كيف بدأ الصراع بين إبليس وآدم، يظهر لنا أن الآيات ذكرت اسم إبليس، وذلك في قول الله تعالى: [A B C D E F G H I J Z] [طه]، ثم تحولت إلى اسم آخر له، وهو "الشيطان" في قول الله تعالى: [g h i j k l m n o p q

r s t Z [طه] لغرض دلالي يمكن استنباطه من السياق.

إن أصل مادة كلمة "إبليس" تدور حول الرفض؛ فكانت التسمية مُطابقة تمامًا للدلالة، فإبليس هو الرافض لأمر الله تعالى، وتمضي بنا الآيات بعد ذلك لتصل بنا إلى موقف آخر لإبليس يضيف فيه إبليس إلى رفض السجود القيام بإغواء آدم وإغرائه بالأكل من الشجرة، وحينئذٍ يطلق عليه اسم "الشيطان".

وهكذا جاءت كلمة (شيطان) في القرآن للدَّلالة على كُلِّ مَن يُغْوِي غيرَه ويقوده إلى الضَّلال والفساد، إنْسًا كانَ أو جنًّا، كما في قول الله ﷻ:

B A @ ? > = < ; : 9 [
Z G F E D C [الأنعام: ١١٢].

p o n m l k j i h g [
} | { z y x w v u t s r q
~ إِذْ ¡ £ ¤ ¥ ¦ § Z [الفرقان].

بينما جاءت كلمة (إبليس) علمًا على كبير الشَّياطين لعَنَه الله في مواقف الرفض للسجود، كما في قوله ﷻ:

] وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ
¡ ¢ £ ¤ Z [البقرة].

^] \ [Z Y X W V U [

_ ` a b Z [الإسراء].

[l m n o p q r s t u v

w x y z | { أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ

¤ ¦ § ¨ © Z [الكهف].

إن القرآن الكريم يميِّز بين الأبنية الصرفية المتشابهةفيفرِّق فى الدلالة بين صيغ الفعل، وصيغ المصدر، وصيغ المشتقات، وصيغ الجموع، وبين الجمع والإفراد.

وهذه الدقة وهذا الإحكام لا يوجد فى غير القرآن الكريم، وهذه بعض الأمثلة لكل نوع من أنواع الأبنية الصرفية المشار إليها:

١ ـ اختلاف صيغة الفعل:

بَعُدَ ـ بَعِدَ:

لفتُرِّق المعاجم اللغوية بين الفعلين؛ قال ابن فارس: "البُعْدُ خلاف القُرْبِ ، والبُعْدُ والبَعَدُ: الهلاك. وقالوا فى قول الله تعالى:] « ¼ ½ ¾ ¿ À Á Z [هود]؛ أى هَلَكت، وقياس ذلك واحد"[٢٥]، يريدأن الهلاك بُعْدٌ للهالك.

وفى اللسان: البُعْدُ: خلاف القُرْبِ، الرَّجُلُ بالضم وَعِدَ (بالكسر) بُعْدًا وبَعَدًا، فهو بعيد[٢٦].

وقد ورد كُلٌّ من الفعلين فى موضع واحد من القرآن الكريم؛ فالمضموم العين فى قول الله ﷻ:

[2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < Z

[التوبة: ٤٢].

وورد الفعل المكسور العين ومصدره فى قوله ﷻ:

[» ¼ ½ ¾ ¿ À Á Z [هود].

فعبرَّ القرآن عن البُعْدِ فى المسافة بالفعل المضموم العين (بَعُدَ)، بينما عَبرَّ عن الهلاك بالفعل المكسور العين (بَعِدَ).

قال الزمخشرى المعنى فى البناءين واحد، وهو نقيض القرب، إلاَّ أنهم أرادوا الفصل بين البُعْدِ من جهة الهلاك وبين غيره فغيرَّوا البناء كما فرَّقوا بين ضمان الخير والشرِّ فقالوا بَعَدَ، وأَبْعَدَ[٢٧].

ونقل أبو حَيَّان كلام الزمخشرى غيره، ومحصِّله أن أكثر استعمال (بَعُدَ) بضم العين فى التعبير عن البعد فى المسافة، وأكثر استعمال (بَعِدَ) بكسر العين فى التعبير عن الهلاك[٢٨].

ومراعاة القرآن التفرقةَ بين معنى الفعلين عن طريق الصيغة

الصرفية، هو الأسلوب الأمثل فى التعبير اللغوى، على عادة القرآن الحكيم فى ذلك.

ومثل ذلك استعمال الفعلين (قَسَطَ ـ أَقْسَطَ) والوصف منهما (قاسط ـ مُقْسِط) فالمجرد بمعنى الظلم والجَوْر، والمزيد بالهمز بمعنى العدل؛ قال الله ﷻ:

] - . / 0 1 2 Z [الجن].

] ; < = > ? Z [المائدة].

• **تَبِعَ ـ اتَّبَعَ:**

قال الله ﷻ:

] ! " # $ & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 Z [البقرة].

] قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Z [طه].

فى آية البقرة جاء الفعل المجرَّد (تَبِعَ) وهو يدلُّ على مجرد الوصف بالاتِّباع، أما فى آية طه فاقتضى السياق أن يُستَعْمَل الفعل المزيد (اتَّبَعَ) بوزن (افْتَعَلَ) وهو يفيد التجدُّد والتكلُّف ـ أى وجود مشقة فى الفعل ـ

وذلك لأن الآية فى سورة طه جاءت عقب ذكر عداوة إبليس لآدم عليه السلام؛ فناسب ذلك تجديد الاتِّباع للهدى والاجتهاد فى بلوغه، وعُبر ِّ عن ذلك بالفعل المزيد (تَّبَع) الدال ِّ على التجديد والقوة والقصد.

شرى ـ اشترى:

تدور مادة (ش ر ى) فى اللغة حول معنى: المماثلة بين أمرين أخذًا وعطاءً [٢٩]؛ ولما كان البيع والشراء يتلازمان فقد استعمل الشراء بمعنى البيع، كما استعمل البيع بمعنى الشراء[٣٠].

ولذا يُستعمل الفعلان (شرى ـ اشترى) تارةً بمعنى أخذ الشىء، وتارة بمعنى دفع الثمن.

لكن الاستعمال القرآنى الكريم فرَّق بين الفعلين فخصَّص الصيغة المجردة (شرى) فى معنى: الشىء وأخذ الثمن، كما فى الآيات الآتية:

, + *) ' & % $ # " ! [

6 5 4 3 2 1 0 / . -

D C B A @ ? > = < ; : 8 7

R Q P O M L K J I H G F

` _] \ [Z Y W V U T S

n m l k j h g f e d c b a

p q r s Z [البقرة].

[p q r s t u v w y z

{ | Z [البقرة].

[° º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â

Z Ð Ï Î Í Ì Ë Ê É È Ç Æ Å Ä

[النساء].

[w x y z { Z [يوسف: ٢٠].

فقوله ﷻ: [l m n Z معناه: باعوها[٣١].

وقوله ﷻ: [s t Z معناه: يبيعها[٣٢]؛ أى يبذلها فى رضا الله ﷻ.

وقوله ﷻ: [¿ À Á Â Z معناه: يبيعونها ويُؤْثِرون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها[٣٣].

وقوله ﷻ: [w x y Z؛ أى: باعوه[٣٤].

أما الفعل المزيد بتاء الافتعال (اشترى) فقد تكرَّر فى القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، وكان بمعنى الشراء فى هذه المواضع كلِّها، ومن ذلك الآيات الآتية:

] Ê É È Ç Æ [Z [البقرة: ١٦].

] § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± Z [التوبة: ١١١].

] ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° Z [يوسف: ٢١].

والشراء هنا هو أخذ الثمن مقابل الشيء، سواء أكان هذا الثمن ماديًّا كما فى آية يوسف رقم (٢١) أو معنويًّا كما فى سائر المواضع الأخرى[٣٥].

ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى غاير بين دلالتى (ـَ ى ـ اشترْـَ ى)، فجاءت الصيغة المجردة بمعنى البيع، والصيغة المزيدة بمعنى الشراء.

اسْتَطَاع ـ اسْطَاع:

ورد هذا الفعلان فى آية واحدة هى قول الله ﷻ:

] í î ï ð ñ ò ó ô õ Z [الكهف].

وإيثار صيغة (اسْتَفعل اسْتَطاع) مع النقب؛ لدلالة الصيغة بتمامها على الطلب والمحاولة، فهم وإن كانوا عاجزين عن نقب السَّدِّ، إلا أنهم

يحاولون غير يائسين من نقبه.

أما صيغة (اسْطاع) بحذف التاء، ففيها إيحاء بالعجز التام واليأس حتى من مجرد محاولة تسلُّق السد والصعود عليه.

كما أن فى المخالفة بين اللفظين المتجاورين مراعاةً لجرس الكلام ونغمه، وهى سمة جمالية من خصائص التعبير القرآنى الذى تتعانق فيه الأصوات والتراكيب والدلالات وتتآزر لأداء المعنى على أدق وجه وأكمل صورة.

فَسَحَ - تَفَسَّحَ :

صيغة الفعل المجرد (فَسَحَ) تدل على الإطلاق، فمعنى (فَسَحَ): أَوْسَعَ، بينما تدلُّ الصيغة المزيدة بالتاء وتضعيف العين على التكلُّف، فمعنى (تَفَسَّحَ) تكلَّفَ ذلك.

وقد ورد الفعلان فى آية واحدة من القرآن الكريم، هى قول الله ﷻ:

[È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò

Ó Ô Z [المجادلة: ١١].

فكلمة (تَفَسَّحُوا) معناها يفسح بعضهم لبعض ويُوجِد كلٌّ منهم فُسْحةً يلزم فى المكان، وذلك بالتضامِّ والتقارُب.

أمَّا الفعل (افْسَحُوا) فهو أمرٌ من الثلاثى المجرَّد (فَسَحَ)، وليس فيه

معنى التكلُّف، بل هو فَعْلُ ذلك دون تكلُّف أو إبداء لمشقَّة ذلك؛ ولذا جُوزِيَ مَنْ يستجيب ويُوسِع لغيره بالسَّعة من الله ﷻ، وهى مطلقة فى الرزق والعلم والقلب والقبر وغير ذلك(٣٦).

ونخلص من ذلك إلى أن الفعل المزيَّد (حَسَّنَ) فيه تكلُّف وشعور بالمشقة، أما الفعل المجرد ففيه إطلاق، وأداء للفعل دون إبداء تكلُّف أو شعور بالمشقة.

• كَسَبَ ـ اكْتَسَبَ:

تدور مادة (ك س ب) حول معنى: جلب النفع من مال وغيره، أو تحصيل ما هو مَظِنَّةٌ للنفع.

والكَسْبُ: تحصيل ذلك، كما فى قول الله ﷻ:

[c d e f g h i j Z [البقرة: ٦٧].

وقد يستعمل الكَسْبُ فى السيئ، كما فى قوله ﷻ:

[G H I J K L M N O P Z

[البقرة].

[G H I J K L M N O Z

[الأنعام].

والاكتساب: جاء على صيغة الافتعال الدالة على شدة الطلب، وقد غلب استعماله فى الشر والسيِّئ؛ لأن صيغة الافتعال تدل على المحاولة والاجتهاد فى الطلب، والنفوس تنجذب إلى شهواتها السيئة، فعُبر عن ذلك بصيغة الافتعال، ومن ذلك قوله ﷻ:

Z ´ ³ ² ± ° ¯ | ¬ « ª © ¨ § [

[البقرة: ٢٨٦]؛ أى: لها عملها الصالح وعليها عملها السيئ.

وقد يُستعمل الاكتساب فى معنى الخير كما فى قوله ﷻ:

] y z { | ~ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ Z

[النساء: ٣٢].

ولكن يبدو أن الكسب لا يُستعمل إلا فى الخير، وأما الآيات التى ورد فيها بمعنى السيئ؛ فلأن من يكسب سوءًا أو إثمًا يظن فى ذلك خيرًا وتحصيل نفع، فغلب استعمال الاكتساب فى الشر.

وباستقراء الآيات القرآنية التى ورد فيها لفظ الاكتساب، لا نجده ورد بمعنى كسب الحسنات؛ ولم يعبر القرآن عن الحسنات والصالحات إلا بلفظ (كسب).

وأمَّا استعمال القرآن للفعل المجرد (كَسَبَ) فى المعاصى والسيئات فهو على معنى التعوُّد؛ فالعاصى قد اعتاد العصيان، فناسب أن يُسند إليه

الفعل بصيغته المجردة (كَسَبَ)، أما الصيغة المزيدة (اكتسب) فتدل على بذل الجهد، فناسب استعمالها فى معنى الاجتهاد فى تحصيل النفع أو ما هو مَظِنَّة النفع وإن كان شرًّا.

٢ ـ اختلاف صيغة المصدر:

البَأْس ـ البَأْسَاء:

تدور مادة (ب أ س) فى اللغة حول معنى الشِّدَّة، من فقر وخوف وجوع وحرب[٣٧].

ولم تُفرِّق المعاجم اللغوية بين البأس والبأساء، وجعلها الراغب الأصفهانى أيضًا بمعنى واحد، قال: "البُؤْس والبَأْس والبَأْساء: الشِّدَّة ورووا أن البُؤْسَ فى الفقر والحرب، والبأس والبأساء فى النِّكاية"[٣٨].

ولكن ورود اللفظين (البأساء، البأْس) معطوفين فى القرآن الكريم يقتضى تغايرهما، وذلك كما فى قول الله ﷻ:

[J K L M N O Z] [البقرة: ١٧٧].

والذى نُرَجِّحه ما ذهب إليه أكثر المفسرين، وهو أن: البأْساء: الفقر، والضراء: المرض، والبأْس: القتال. وهذا من باب الترقِّى فى الصبر من الشديد إلى الأَشَدِّ، فذكر أولاً الصبر على الفقر (البأْساء)، ثم الصبر على

المرض (الضرَّاء)، وهو أشدُّ من الفقر، ثم الصبر على القتال (البَأْس)، وهو أشدُّ من الفقر والمرض[٣٩].

ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (البَأْس ـ البأْساء) متقاربان فى الدلالة؛ حيث يشتركان فى معنى الشدَّة والمكروه.

ويتميَّز لفظ (البأْساء) بنوع من الشدة هى شدة الفقر، بينما يتميَّز (البأس) بنوع من الشدة هى شدة القتال والعذاب والنكال.

سِخْرِيًّا ـ سُخْرِيًّا:

كلا اللفظين يجمعهما أصلٌ دلالىٌّ واحدٌ هو (س خ ر) ولم يفرِّق اللغويون بينهما، حيث جعلوهما اسماً من سَخِرَ كالسُّخْرِيَة[٤٠].

وقد وردت كلمة (سِخْرِيًّا) ـ بالكسر ـ فى القرآن الكريم مرتين[٤١]، فى الآيتين الآتيتين:

[P Q R S T Z [المؤمنون: ١١٠].

[, - . / 0 1 2 Z [ص].

ذهب الخليل وسيبويه إلى التسوية بين ضم السين وكسرها فى (سِخْرِيًّا) وذهب الكسائى والفراء إلى أن كسر السين معناه الهُزْء، (أى السُّخْرَية) وضم السين معناه السُّخْرة؛ أى العبوديَّة[٤٢].

وإلى مثل ذلك ذهب القرطبى[٤٣] وأبو حيان[٤٤].

وأجمع القُرَّاء على ضم السين فى قول الله ﷻ:

[¸ 1 o » ¼ ½ ¾ ¿ À Z

[الزخرف: ٣٢].

وإجماع القراء على ضم السين هنا يُرَجِّح أن هناك فرقًا بين الكلمة مضمومة السين ومكسورة السين على نحو ما بيَّنَّا.

ونخلص مما سبق إلى أن الكلمتين وإن تقاربَتَا صوتيًّا وصرفيًّا ـ إذْ لا فارق بينهما سوى كسر السين أو ضمِّها ـ فإن بينهما اختلافًا كبيرًا فى المعنى.

فالسِّخْرِيُّ بالكسر: الهُزْء والسُّخْرِيَّة بالضم: التَّذْلِيل والاستعباد فيهما للمبالغة، كالياء فى خُصوصِيَّة، وأصلها (خُصوص).

السِّلْم ـ السَّلْم ـ السَّلَم:

لم تفرِّق المعاجم بين السِّلْم والسَّلْم؛ قال ابن منظور: السَّلْم والسِّلْم: الصُّلح، يُفْتَح ويُكسر[٤٥].

بينما ذكرت المعاجم أن السَّلَم (بفتح اللام) يعنى: الاستسلام والإذعان والانقياد[٤٦].

وقد ورد السِّلْم (مكسور السين ساكن اللام) فى القرآن مرة واحدة

(على قراءة غير نافع وابن كثير والكسائى وأبى جعفر) فى قول الله ﷻ:

] { ~ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ ¤ ¥ ¦
§ ¨ © ª « ¬ ® ¯ Z [البقرة].

السِّلْم: الاستسلام والطاعة؛ أى استسلموا لله وأطيعوه، وقيل: هو الإسلام(٤٧)، وقد أنشد الكسائى وغيره من علماء اللغة قول امرئ القيس بن عابس الكندى:

عَشِيرَتِي سِلْمٌ لَمُ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَا
مُبَدِّلاً بِاللهِ رَبًّا سِتَبْدِلِ سِلْمٍ دِينَا

أى: دعوت قومى للإسلام، قال ذلك لَمَّا ارتدَّت قبيلة كندة مع الأشعث بن قيس.

وقال آخر فى فتح مكة:

سِلْمٌ قَدْ بَانَتْ مَعَالِمُهَا إِلاَّ مَنْ بِهِ خَلَلُ

يريد: الإسلام؛ لأنه قابَلَه بالكفر، وقيل: السِّلم بالكسر: الإسلام، وبالفتح الصُّلْح(٤٨).

والأرجح من بين هذه الأقوال قول أبى عمرو بن العلاء، وهو أحد القُرَّاء السبعة، الذى يرى أن السِّلْم بكسر السين هو الإسلام، والسَّلْم بفتح السين هو المسالمة(٤٩).

والسَّلْم (بفتح السين وسكون اللام) ورد فى القرآن الكـريم مـرتين، فى الآيتين الآتيتين:

] Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Z [الأنفال: ٦١].

[k l m n o p q r s t u

v w Z [محمد].

وهى فى الموضعين بمعنى المسالمة كما سـبق ذكـره، وكـما فى كثـير مـن كتب التفسير(٥٠).

أما السَّلَم بفتح السين واللام فقد تكـررت فى القـرآن الكـريم خمـس مرات فى الآيات الآتية:

[© ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´

عَلَيۡهِمۡ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ Z [النساء].

[È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð

Z Ñ Ò Ó Õ Ö × Ø Ù Ú Û

[النساء].

[> ? @ A B C D F G H I J K

L M Z [النحل].

[¹ º » ¼ ½ ¿ À Á Â Ã Ä Z [النحل].

[½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Z [الزمر: ٢٩].

السَّلَم فى هذه الآيات بمعنى: الانقياد والاستسلام(٥١)، عدا آية الزمر فمعنى قوله ﷻ: [Æ Å Ä Z: ما له لا يَشرَكُه فيه أحدٌ(٥٢).

ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (سَلْم ـ سَلْم ـ سَلَم) بينها تقارب دلالى؛ حيث تشترك جميعها فى معنى الخلوص.

فالسِّلْم: خلوص الطاعة والإيمان والعمل لله ﷻ.

والسَّلْم: خلوص الرغبة فى الصلح.

والسَّلَم: خلوص الانقياد والاستسلام، أو خلوص الشىء لمالكه فلا يشركه فيه أحد.

صَدّ ـ صُدُود:

قال الله ﷻ:

[> ? @ A B C E F G H I J

Z U T S R Q P O N M L K
[البقرة: ٢١٧].

[¡ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª
« ¬ ® ¯ ° Z [النساء].

وقال ﷻ فى موطن آخر:

[@ A B C D E F G H I J
Z K L M N O [النساء].

استعمل المصدر (صدًّا) كان فِعلهُ متعديًا؛ أي: يَصُدُّون غيرَهم، فهو بمعنى المنع.

واستعمل المصدر (صدودًا) لما لم يكن متعديًا، فهو بمعنى الإعراض.

صَوْم - صِيام:

استخدم القرآن الكريم الفعل "صام" الذى يدل على معنى الإمساك عن الطعام والشراب، كما يدل على معنى الصمت وعدم الكلام.

وقد حرص القرآن على أن يميِّز فى المصدر بين النوعين؛ فاستخدم للأول كلمة "صيام" كما فى قوله تعالى:

[3 4 5 6 7 8 9 : ; < >

= > ? @ A Z [البقرة].

واستخدم للثانى كلمة "صوم" كما فى قوله تعالى:

[& ' ( ) * + , - . / 0 1

2 3 4 Z [مريم] (٥٣).

كَرْه ـ كُرْه:

كلا اللفظين مصدر (كَرِهَ)، وقيل: الكره (بالضم) اسم، والكره (بالفتح) مصدر، وقيل: الكره (بالضم): المشقة وهو فِعْل المختار، والكره (بالفتح): تُكلِّف الشيء فتعمله كارهًا، وهو فعل المضطَرِّ (٥٤).

وإذًا فاللفظان يشتركان فى معنى إباء النفس للشيء وثقله ومشقته وعدم الرِّضا به.

أكثر أهل اللغة يرون أن اللفظين مترادفان، إلَّا الفرَّاء فإنه زعم أن الكره (بالضم): ما أكرهت نفسك عليه، والكره (بالفتح): ما أكرهك غيرك عليه (٥٥).

وقد ورد لفظ (الكره) بالضم فى القرآن الكريم ثلاث مرات (٥٦)، فى الآيتين الآتيتين:

[! " # $ % & Z [البقرة: ٢١٦].

Z *) (' & $ # " ! [

[الأحقاف: ١٥].

والآيتين لا يُرَجِّح ما ذهب إليه الفرَّاء من أن الكره بالضم هو ما أكرهت نفسك عليه والأصَحُّ أن يقال: إن الكره: كَرِهَتْه النفس لمشقته وثقله عليها، ولكن النفس تختاره وتُقْبِل عليه برغم مشقته، فالقتال كريه للنفوس؛ لأنه يحُول بين المقاتِل وبين طمأنينته ولَذَّاته ونومه وطعامه وأهل بيته، ويعرِّضه للهلاك أو ألم الجراح، ولكنَّ فيه دفع المذلَّة، فهو من الضرورات التى لا بد منها؛ لأن تركه يُفْضِي إلى ضرر أعظم وأكبر لهيبة الطبع لا تُنافِي تلقِّى التكليف به برضًا؛ لأن أكثر التكليف لا يخلو عن مشقة(٥٧).

ومثل ذلك الحمل والوضع فى آية الأحقاف، فهما وإن كان فيهما ثقل ومشقة وألمٌ إلاَّ أن المرأة تَقْبَل هذه المشقة وتتجشَّمها راضيةً سعيدة؛ لأجل الولد.

ففى كلمة (كُرْه) ثلاثة ملامح دلالية:

١. الشدة والمشقة.

٢. الرضا بهذه المشقة.

٣. كونه مفروضًا من الخارج.

أمَّا (الكره) بفتح الكاف فقد ورد فى القرآن الكريم خمس مرات[٥٨]، فى الآيات الآتية:

[» ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä

Å Æ Ç È É Z [آل عمران].

[z { ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ ¤ ¦ ¡

§ ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ²

وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ ¹ º » ¼ ½

¾ ¿ À Á Â Z [النساء].

[قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا

¬ ® Z [التوبة].

[? @ A B C D E F G H

I K Z [الرعد].

[² ³ ´ ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿

À Á Â Ã Z [فصلت].

ونخلص مما سبق إلى أن الملامح الدلالية المميِّزة للكره فى هذه الآيات: المشقة، والإجبار (ضد الطَّوْع والإرادة)، وعدم قبول النفس

للأمر عن رضا.

والملمح الأخير هو الملمح الدلالى الفارق بين الكره والكـره؛ حيـث يشتركان فى ملمحين هما:

١. الشدة والمشقة.

٢كونه مفروضـًا من الخارج.

ويتميز المضموم بملمح الرِّضا، بينما يتميز المفتوح بعدم الرِّضَا.

٣ـ اختلاف صيغ المشتقات:

•الرَّحمن ـ الرَّحيم:

قال الله ﷻ:

+ *) (' & % $ # " ! [

, - Z [الفاتحة].

جاء فى الكشاف: "فى (الرحمن) من المبالغـة مـا لـيس فى (الـرحيم)، ويقولون: إن الزيادة فى البناء زيادة فى المعنى؛ قال الزجـاج فى الغضـبان: هو الممتلئ غضبًا طَنَّ على أذنـى مـن مُلَـح العـرب أنهـم يسـمُّون مركبًا من مراكبهم بالشَّقْدَف، وهو مركب خفيف لـيس فى ثقـل محامـل العراق، فقلت فى طريق الطائف لرجل مـنهم: مـا اسـم هـذا المحمـل؟ فقال: أليس ذاك اسمه الشقدف؟ قلت: بلى، قال: هذا اسمه الشقنداف،

فزاد فى بناءالاسم لزيادة المسمَّى.

كما أن صيغة (فَعْلان)تفيد الحدوث والتجدُّد، وصيغة (فعيل) تفيد الثبوت، فجمع الله ﷻ لذاته الوصفين؛ إذ لو اقتصر على(رَحْمَن)لظَنَّ ظانٌّ أن هذه صفة طارئة قد تزول كعطشان وريَّان، ولو اقتصر على (رحيم)لظنَّ أن هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناه استمرار الرحمة وتجددها؛ إذ قد تمرُّ على الكريم أوقاتٌ لا يكرم فيها، وقد تمرُّ على الرحيم أوقاتٌ لا يَرْحَمُ فيها، والله ﷻ متصفٌ بأوصاف الكمال؛ فجمع بينهما حتى يعلم العبد أن صفته الثابتة هى الرحمة، وأن رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع؛ حتى لا يستبدَّ به الوهم بأن رحمة الله ﷻ تعرض ثم تنقطع أو قد يأتى وقت لا يرحم فيه سبحانه، فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه"[٥٩].

وقال ابن القيم: إن فى اسم(الرَّحْمَن)الذى هو على وزن فَعْلان ما فيه من سَعَة هذا الوصف وثبوت جميع معناه للموصوف به، ألا ترى أنهم يقولون: غضبان للممتلئ غضبًا، وندمان وحيران وسكران ولهفان، لمن ملئ بذلك؟ فبناء (فعلان)للسعة والشمول؛ ولهذا يُقْرَن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيرًا، كقوله تعالى:] \ [Z Y [ ]

Z W V U T S Q P O N [،[طه] Z]

[الفرقان]، فاستوى على عرشه باسم الرحمن؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، فاستوى على المخلوقات بأوسع الصفات[٦٠].

وزاد السهيلي: "إنَّ الرحمَنَ من أبنية المبالغة كغضبان ونحوه، وإنما دخله معنى المبالغة من حيث كان فى آخره ألف ونون كالتثنية، فإن التثنية فى الحقيقة تضعيف، وكذلك هذه الصفة، فكأن غضبان وسكران لضعفين من الغضب والسكر، فكان اللفظ مضارعًا للفظ التثنية؛ لأن التثنية ضعفان فى الحقيقة"[٦١].

وزاد ابن جماعة أن: (فَعْلان) صيغة مبالغة فى كثرة الشيء وعظمه والامتلاء منه، ولا يلزم منه الدواء لذلك، كغضبان وفَوْمان وسكران، وصيغة (فَعِيل) لدوام الصفة ككريم وظريف، فكأنه قيل العظيم الرحمة، الدائمها[٦٢].

ونخلص مما سبق إلى أن تجاور الصفتين (الرَّحمن الرَّحيم) يراد به: الثبوت واللزوم المفهوم من صيغة فَعيل فى اسم الله (الرَّحيم)، والتجدد والاستمرار والمبالغة المفهومة من الصيغة الصرفية فَعْلان فى اسم الله (الرَّحمَنَ).

● الرازَّق ـ الرَّزَّاق:

ورد هذان الاسمان لله ﷻ فى القرآن الكريم بدلالتين متقاربتين، كما

فى قول الله ﷻ:

] 4 5 6 7 8 Z [المائدة].

] T U V W X Y Z [Z] Z [الذاريات].

الوصف (رازق) صيغة اسم فاعل، ومعناه أن الله ﷻ هو الذى يرزق عباده، والملاحظ فى جميع السياقات التى وردت فيها هذه الصيغة أنها جاءت جمعًا ومضافة إلى اسم التفضيل (خَيْر).

ومعنى] 6 7 Z: أنه ﷻ أفضل الرازقين وأكثرهم خيرًا، وهذا يعنى أن صفة (الرازق) ليست خاصَّة بالله ﷻ؛ ولذلك جاءت على وزن اسم الفاعل لتشمل المخلوقين، والمركب الإضافى فى:] 6 7 Z تخصِّص الله ﷻ بالخيريَّة والأفضليَّة.

أما الوصف (رَزَّاق) فورد بصورة المفرد، فى آية الذاريات، وهو صيغة مبالغة على وزن (فَعَّال)؛ لإفادة كثرة الرزق وتعدُّد وجوهه، ولم يوصَف به غير الله ﷻ.

- **ساحر ـ سحَّار:**

قول الله ﷻ:

] b c d e f g h i j k [

Z n m l [الأعراف].

وفى موضع آخر قال ﷻ:

[Æ È É Ê Ë Ì Í Î Ï

Z Ò Ñ Ð [الشعراء].

استُعملت صيغة اسم الفاعل (ساحر) فى آية الأعراف؛ لعدم الحاجة إلى المبالغة فى الوصف، حيث الآية السابقة لم يذكر فيها السحر، وهى قول الله تعالى:] Z Y [\ ] ' _ ` a Z [الأعراف].

بينما استُعملت صيغة المبالغة (سحَّار) فى آية الشعراء؛ لتقدُّم قول الله ﷻ:] ½ ¾ ¿ À Á Â Z [الشعراء: ٣٥]، فلما وصفه بالسحر كان جوابهم عليه أن يأتُوه بمن هو أعلى منه كعبًا فى السحر، فاستُخدمت صيغة المبالغة للتعبير عن هذا.

- **مُشْبَهٌ بِهِ ـ مُشَابِهٌ:**

ورد هذان اللفظان فى آية واحدة، هى قول الله ﷻ:

[f g h i j k l m n o p q

r s t u v w x y z { | }

~ مِّنْ أَعْنَابٍ ¢ £ ¤ ¥ ¦ Z [الأنعام: ٩٩].

والفارق بين اللفظين أن (المشتبه) يحتمل معنيين:

الأول: التشابه، والثانى اللَّبْس المؤدِّى إلى الحيرة.

فنفَى (التَّشابه)؛ أى: التساوى والتماثل، وأثبت (الاشتباه)؛ أى: وجود شَبَه قوىٍّ يقود إلى اللَّبْس والحيرة؛ وذلك لأنَّ هذه الثمار مختلف بعضها عن بعض اختلافًا جوهريًّا، وإن بدا أنها متشابهة ظاهريًّا؛ مصداقًا لقول الله ﷻ:

w v u t s r q p o n [

وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى

§ ¨ © ª » Z [الرعد].

صَبَّار ـ شَكُور:

قال الله ﷻ:

] | { مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ £ ¤ ¥

§ ¨ © ª ¬ ® ¯ ° ± ²

³ ´ Z [إبراهيم].

جاءت كلمة (صَبَّار) على صيغة (فَعَّال) الدالة على الكثرة، ولم تُستعمل صيغة (صَبُور ـ فَعُول) الدالة على المداومة؛ لأنَّ الصبر يكون

على المكروه والأذى، وهو شيء لا تُطِيق النفوس أن تَدُوم عليه، فاكتفى بالصيغة الدالَّة على الكثرة دون أن تدل على الدوام؛ رفقًا بالعباد ورعاية للجانب البشرِيِّ الضعيف فى نفوسهم وكأنَّ فى الصيغة إيماءً إلى أنه يكفى كثرة الصبر ولا حاجة إلى الدوام عليه.

بينما جاءت كلمة (شَكور) على صيغة (فَعول)، وهى صيغة مبالغة تدل على الدوام، والشكر يكون على النعم، وهى متجددة فى كل وقت، فتحتاج إلى الشكر فى كل حين؛ فاختير لذلك الصيغة الدالة على الكثرة والدوام معًا هذا مع مراعاة فواصل الآيات والجانب الموسيقِيِّ للألفاظ.

ضيِّق ـ ضائِق:

قول الله ﷻ:

[! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 Z [الأنعام: ١٢٥].

[فَلَعَلَّكَ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ Z [هود: ١٢].

عبَّرت آية هود باسم الفاعل (ضائق)؛ لأنها فى خطاب النبى ﷺ، للدلالة على أنه شيء عارض ٌ غير ثابت؛ لأن رسول الله ﷺ أفسَح

الناس صدرًا، ومثله قولك: زيد سيِّدٌ وجواد، تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين؛ فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد[٦٣].

بينما عبَّرت آية الأنعام بالصفة المشبهة (ضيِّق) الدالَّة على أمر مستقرٍّ ثابت؛ لأنها فى وصف الضالِّين.

ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (ضائق ـ ضيِّق) بينهما تقارب دلالىٌّ؛ حيث إنَّ كليهما دالٌّ على الضيق.

ولكن كلمة (ضائق) دلَّت على ضيق عارض عابر، وكلمة (ضيِّق) تدلُّ على ضيق ثابت متأصِّل، وهذا مستفادٌ من البناء الصرفىِّ للكلمتين.

٤ ـ اختلاف صيغ الجموع:

- **أبرار/بَرَرة:**

أصل مادة (ب ر ر) فى اللغة: صِدْقٌ، يُقال: بَرَّت يمينُه؛ أى: صدقَت، وبالله حجَّةٌ مبرورةٌ؛ أى: قُبِلَت قبولَ العمل الصَّالح، وقولهم: بَرَّ ربَّه؛ أى: أطاعه، وهو من الصِّدق[٦٤]، وعمَّم بعض العلماء البرَّ فى الدَّلالة على الخير[٦٥].

واختُلِفَ فى صيغتَى الجمع (أبرار، بررة)، فقيل: أبرار جمع بَرٍّ، وبَرَرة: جمع بارٍّ[٦٦]، وقيل بالعكس[٦٧].

كلا اللَّفظين جمعٌ لمفردٍ واحد هو (بَرٌّ) بدليل أنَّ لفظ (بارٍّ) يَرِدْ فى

القرآن الكريم، كما أنَّ القاعدة الصرفية تقول:إنَّ جمع (فاعل/ بار) على (أفعال/ أبرار) ممَّا يحفظ ولا يُقاس عليه[٦٨].

وبتأمُّل السياقات القرآنية للَّفظين، نجد أنَّ الجمع (أبرار) قد ورد فى القرآن الكريم ست مرات، منها الآيات الآتية:

] رَبَّنَا ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ Z [آل عمران: ١٩٣].

] Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Z [الإنسان].

] Z] \ [Z [الانفطار: ١٣، المطففين: ٢٢].

بينما ورد الجمع (برزة) مرَّةً واحدة فى قول الله تعالى:

] Z [\ ] ^ _ Z [عبس].

والملاحَظُ أنَّ الجمع (أبرار) وَرَدَ وصفًا للبشر، بينما ورد الجمع (بررة) وصفًا للملائكة، وهذا يُرجِّحُ ما ذهب إليه الدكتور فاضل السامرائى[٦٩] حيث يرى أنَّ (أبرار) جمع قلَّة، فإذا وُصِفَ به النَّاسُ على كثرتهم لأنهم قلَّةٌ بالقياس إلى الفُجَّار من النَّاس، أمَّا الجمع (بررة) فهو جمع كثرة؛ ولذلك استُعْمِلَ وصفًا للملائكة، وهم

جميعًا بَرَرَة[٧٠].

- **أعين ـ عيون:**

كلا اللَّفظين جمع (عَين) سواء أكانت حاسَّة الإبصار، أو عَين الماء، أو غير ذلك[٧١] ولكنَّ المتأمِّل للسِّياقات القرآنية التي ترد فيها كلا اللَّفظين يجد أنَّ كلمة (أعين) جاءت جمعًا للعين التي هي حاسَّة البصر، كما في قول الله ﷻ:

] ® ¯ ± ² ³ ´ ٱلنَّاسِ ¶ ¸
¹ º » « Z [الأعراف].

] ! " # $ % & ' ( ) * + ,
- . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ;
< = > ? @ A B Z [الأعراف].

] ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬
® ¯ ° ± ² ³ وَإِلَىٰ ¶ ¸ ¹ º Z
[الأعراف].

وأمَّا كلمة (عيون) فجاءت في جميع مواضعها من القرآن الكريم جمعًا لعَين الماء، كما في قوله ﷻ:

] ¥ ¦ § ¨ © ª Z [الحجر].

] Ò Ó Ô Õ Ö Z [الشعراء].

] N O P Q R S Z [الدخان].

وليس المعتبر في الاستخدام القرآني للكلمتين الظنية فيَّة الدالَّة على جمع الكثرة في (عيون)، وعلى جمع القلَّة أفعُل (عُيُن)؛ لأنَّ كلًّا منهما وردَت في سياقات تُفيد الكثرة، ولكنَّ القرآن الكريم عبَّر بالظنية فيَّة عن حاسَّة البصر، وبالظنية فيَّة (عيون) عن عيون الماء(٧٢).

٥ ـ الفروق الدلالية بين الإفراد والجمع:

- **درجة ـ درجات:**

قال الله ﷻ:

] ! " # $ % & ' ( ) * +
, - . / 0 1 2 3 4 5 6
7 9 : ; < = > ? @ A B C D
E F G H I K L M N O Z [النساء].

جاءت كلمة] 7 Z مفردة في الآية الأولى؛ لأن المراد: في الدنيا، وجمعت في الآية التالية:] F Z؛ لأن المراد: في الآخرة.

- **دار ـ ديار:**

قال الله ﷻ:

[n o p q r s t Z [الأعراف].

[» ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ Z [هود].

أُفرِد لفظ الدار فى آية الأعراف؛ لأن الرجفة ـ وهى الزلزلة ـ دمَّرت بلدهم تدميرًا، فجاء اللفظ واحدًا باعتبار بلدهم المدمَّر.

وجمُع اللفظ فى آية هود؛ لأن الصيحة جاءت من السماء، وهى أقوى وأعنف من الرجفة فجاء اللفظ مجموعًا لبيان عِظَم التدمير وقوته وفداحة آثاره.

- **ريح ـ رياح:**

نَصَّت المعاجم العربية على أن الرِّيح مفرد الرِّياح[٧٣]، ولكن بعض المفسرين فرقوا بين الكلمتين وقالوا: الرِّيح فى العذاب، والرِّياح فى الرحمة[٧٤]، واستشهدوا لذلك بما تواتر من قراءة عاصم أنه كان يقرأ ما كان من رحمة بصيغة الجمع (رياح)، وما كان من عذاب بصيغة الإفراد (ريح)، وإن كان غير عاصم من القُرَّاء قد اختلفوا فى الرحمة، فمنهم من قرأه بالجمع ومنهم من قرأه بالإفراد، لكنَّهم جميعًا اتفقوا على ما كان من

عذاب فقرأوه بصيغة المفرد (ريح).

قال الفراء بعد أن ذكر القراءات فى الريح والرياح: "ونرى أنهم اختاروا الرياح للرحمة؛ لأن رياح الرحمة تكون من الصَّبَا والجَنُوب والشمال من الثلاث المعروفة، وما لا مطر فيه الدَّبُور؛ لأن الدَّبُور لا تكاد تَلْقَح؛ فسُمِّيت ريحًا موحَّدةً لأنها لا تدور كما تدور اللواقح" (٧٥).

وهذا التوجيه مُطَّرِدٌ فى أكثر مواضع الكلمتين فى القرآن الكريم، ويزيده بيانًا ورود اللفظين فى آيات متتالية من سورة الروم؛ حيث تكررت صيغة الجمع مرتين فى الآيتين (٤٦، ٤٨)، وهما فى سياق الرحمة والبشارة، ثم جيء بصيغة المفرد فى سياق العذاب فى الآية رقم (٥١)، وهى الآيات الآتية:

d c b a ` _ ^] \ [[

.[الروم] Z l k j i h g f e

¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ [

¯ ® فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ º » ¼

.[الروم] Z Á À ¿ ¾ ½

Z *) (' & % $ # " ! [

[الروم].

قال الزمخشرى متفقًا مع الفرَّاء الرياح هى الجنوب والشمال والصَّبَا، وهى رياح الرحمة، وأما الدَّبُور فريحُ العذاب، ومنه قول النبى: "اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا".. فإذا أرسل ريحًا فضرب زروعهم بالصَّفَار ضَجُّوا وكفروا. والريح التى اصفرَّ لها النبات يجوز أن تكون وحرًا وحرجها، فكلتاهما يُصوِّح لها النبات ويصبح هشيمًا (٧٦).

وهذا الحديث الذى ذكره الزمخشرى يدل على أن مواضع الرحمة والبُشرى أولَى بصيغة الجمع، ومواضع العذاب أولَى بالانفراد.

والتفرقة بين الصيغتين ليست على إطلاقها، فلا يقال إن الريح للعذاب والرياح للرحمة، والأولَى أن يُقَال إنَّ العذاب قد خُصَّ بلفظ المفرد (ريح) ولا يُقال فى العذاب (رياح)، أمَّا الرحمة فقد تكون بلفظ المفرد، والأكثر أن تكون بلفظ الجمع.

٤. روح الكلمة القرآنية وظلالها الدلالية:

للكلمة القرآنية روحٌ تطالعنا فى ثنايا الآيات، لاتستمدُّ معناها وجوهرها من الدلالة المعجمية فحسب، بل بما تشعُّه من ظلالٍ دلاليَّة، على نحو ما نرى فى الأمثلة الآتية:

- قول الله تعالى:] " # $ & ' ( ) Z [يوسف: ٥٣].

كان يمكن أن تقول: «إن نفسي لأمَّارة بالسوء» لكنَّ هذا فيوِّت عليها فرصة الاحتماء بالطبيعة الإنسانية؛ إذ تؤكد اتهام النفس على إطلاقها، فى موقف تسعى فيه إلى استخلاص بقية من حسن الظن بها، بواسطة وقوفها موقف التائب المعترف بالخطأ؛ ومن هنا كان اختيار كلمة «النفس» لتعمَّ نفوس البشر جميعًا ومنها نفسها هى.

• قوله ﷻ: [! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ Z [الشورى].

تأمَّل ما تبعثُه فى النفس كلمةُ «وحًا» إنَّ فى هذا الوحى حياة، وهو يبثُّ الحياة ويدفعها بحرٍّ كهولٍ ينمِّيها فى القلوب وفى الواقع العملى المشهود. تُصوِّرُ الآية نفس رسول الله ﷺ قبل أن تتلقَّى هذا الوحى: [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ Z، وقد سمع رسول الله ﷺ عن الكتاب وسمع عن الإيمان، وكان معروفًا فى الجزيرة العربية أن هناك أهل كتاب وأن لهم عقيدة؛ فليس هذا هو المقصود، إنما المقصود هو اشتمال القلب على هذه الحقيقة والشعور بها والتأثر بوجودها فى الضمير، وهذا ما لم يكن قبل هذا الروح من أمر الله الذى وَسَّع قلب

محمد ﷺ:] / 0 1 2 3 4 5 Z، هذه طبيعته الخالصة، طبيعة هذا الوحى، هذا الروح، هذا الكتاب: إنه نورٌ نورٌ تخالط بشاشتُه القلوبُ التى شاء لها الله أن تهتدى به، يعلمُه من حقيقتها، ومن مخالطة هذا النور لها(٧٧).

- قوله ﷻ:] ^ _ ` a b c d e f g h i j k Z [يوسف].

عدلت عن قولها: «من أراد بى سوءًا» إلى أن تجعل إرادة السوء موجهة إلى أهله؛ لتصرف العدوان من أن يكون عليها هى إلى أن يكون عليه هو استدرارًا لغضبه من أجل كرامته، ولو قالت: «من أراد بي» لتركت له الفرصة للتأمل فى صدق قولها أو كذبه، أو لكان له أن يقول لها: ولماذا تركت له الفرصة حتى أراد بك السوء؟

- قوله ﷻ: [p q r s t u v w x y z { | } ~ Z [يوسف: ٧٦].

هذه الآية لفظان مختاران أولهما لفظ «كدنا»، والمقصود «ألهمناه كيدًا» والثانى «دين الملك»، والمقصود العقوبة المصرية القاسية، فالله تعالى ألهم يوسف أن يسأل إخوته عن جزاء السارق فى عرفهم ليقى أخاه أن يؤخذ

فى دين الملك؛ أى شرعه القاسى.

فالتعبير بلفظ «كدنا» أبلـغ فى الدلالـة عـلى إرادة الله، مـن أن يقـال «ألهمنا يوسف كيدًا»، واختيار لفظ «دين الملك» عـلى لفـظ «شريعتـه»؛ لأن الملك كان يحكم بإرادته الفرديـة، فلـم تكـن لـه شريعـة يلتـزم بهـا ويخضع لحكمها، والمعنى أنه ما كان ليوسف أن يـرضى بإخضـاع أخيـه للعقوبة المصرية إلا أن يشاء الله.

• قوله ﷻ: [® ¯ ° ± ² ³ ´ يَأْتِ ¶ Z [يوسف: ٩٣]، ثم قال تعالى: [! " # $ % & ' ( ) Z [يوسف: ٩٦].

لاحظ الفرق بين لفظـى «يـأت» و«ارتـدَّ»؛ فمنـاط القـول فى الأول رغبة يوسف فى مجىء قومه إلى مصر، بـدليل قولـه بعـد ذلـك مبـاشرة: [¹ º » Z، وأما منـاط القـول فى الثـانى فهو التحوُّل من حالة العمى بالارتداد إلى الإبصار دون تفكير فى انتقـال أو عدمه.

• قوله ﷻ: [£ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « Z [طه: ١٠]، وقوله ﷻ: [" # $ % & ' ( ) Z

* + , - . / 0 1 2 Z [القصص: ٢٩].

عبر ً بـ «آنس» لتى فيها ملمح الأُنس وذهاب الوحشة؛ لأنه كان فى حال وحشة وضيق وجوع وعطش.

• قوله ﷻ: [E F G H I J K L M N Z [ص].

المعروف أن صيغة «فُعال» اسم كلُعاب، وصفة مشبهة كشجاع، وإحدى صيغ المصادر؛ إذ تدل على داء أو صوت كسعال وصراخ، ولكن إرادة المبالغة فى تصوير معنى «عجيب» أدَّت إلى استعمال هذه الصيغة التى لا تحُتسب عادة بين صيغ المبالغة، وشبيه ذلك ما حدث باختيار ألفاظ أخرى مثل: [q r s t Z [نوح]؛ إذ لا تعد صيغة «فُعَّال» بين صيغ المبالغة، وكذلك لفظ «الكوثر» فى: [V W X Y Z [الكوثر]؛ أىأعطيناك الكثير جدًّا.

• قوله ﷻ: [P Q R S T U V W X Z [Y Z [الحج].

انظر إلى الطباق فى اللفظ والوفاق فى المعنى بين لفظى [V W Z، فهذا الطباق اللفظى حال بينه وبين الامتداد إلى المعنى عبارة

] X Y Z Z، فلماذا كان اختيار لفظ] W Z دون: "يسوقه"، أو "يلجئه"، أو "يسلمه"، أو "يدفعه"، أو ما أشبه ذلك من الألفاظ؟

إنَّ في اختيار اللفظ المذكور ما يلي:

أ- إرادة السخرية كإرادتها في قول الله تعالى:] فَبَشِّرْهُم ¶ ¸ Z [آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤، الانشقاق: ٢٤].

ب-إن من شأن الدعوة أن تكون إلى الهدى لا إلى الضلال، فتحقَّق ذلك له باللفظ وإن فاته بالمعنى، وإنما جاءت السخرية من المقابلة بين لتلحَقُّق والفوات في لفظ واحد.

•ومن الإيحاءات القرآنية ما تثيره أصوات الكلمة من ظلالٍ دلالية، كما في ألفاظ قرآنية لا وجود لمعظمها خارج النص القرآني، وذلك مثل: _ ° _ ¨ _ G _ C _ + _ + _ ¯

_ @ _ X _ s _ % _ N _ » _ m _ &

B ... إلخ، وفي هذه الألفاظ حكاية للمعنى بواسطة الجرس، ولو حاولنا بيان ذلك في لفظ (قُّوم) لوجدنا ما يلي:

١. القاف والميم شركة بين لفظ الزقوم ولفظ "اللقمة".

٢. الزاى رخوة "احتكاكية" والقاف شديدة "انحباسية"، وتواليهما يوحى بتكلُّف إدخال اللقمة محتكة بالفم، ففيها معنى "الزَّقّ" كما يزقُّ الطائر فرخه حتى يطعمه بفيه.

٣. وفى الكلمة من حروف "الحلقوم" القاف، ثم إن فى الواو والميم من طول الأولى وإقفال الشفتين فى الثانية ما يوحى بتوقف اللقمة عند الحلقوم؛ لصعوبة ازدرادها.

٤. أصول الكلمة هى أصل اشتقاق طائفة من الكلمات تتصل بالطعام؛ فالطائر يزق فرخه، وزقم لقمه، وأزقَمَهُ أَجْلَعَهُ، وازدقمه = ابتلعه، وأخيرًا القَمَةُ = الطاعون.

٥. فى تشديد القاف إطالة اتصال الأعضاء فى مخرجها، مما يوحى ببقاء اللقمة محتبسة فى الحلقوم مدة طويلة قبل الإساغة، وبخاصة إذا لحق بطول التشديد طول المدِّ الذى فى الواو من "الزَّقُّوم"[٧٨].

ثالثًا: إعجاز النظم القرآنى:

١. إعجاز النظم القرآنى على مستوى الآية:

القرآن الكريم كما أنَّه معجزٌ بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، هو أيضًا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته، وقد نُظِمَ نسجًا بالغًا منتهَى ما تسمح به اللغة العربيَّة من الدَّقائق واللَّطائف لفظًا ومعنًى بما

يقصى ما يُراد بلاغةً إلى المرسل إليهم.

ولقد كان في القديم حِسٌّ لغويٌّ مرهف في إدراك هذا الإعجاز، من ذلك ما رواه الأصمعي قال: أيتُ بالبادية جارية صغيرة وهي تقول:

سألْتَغْرُ اللهِ لذنبي كُلِّهْ قَتَلْتُ إنسانًا بغَيْرِ حلِّهْ

مثلَ نزالِ ناعمًا في دَلِّهْ فانتصفَ اللَّيْلُ ولَمْ ينَصَّفْ لهْ

فقلت لها: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أتُعَدُّ فصاحة بعد قول الله تعالى:

[. / 0 1 2 3 | 5 6 7 8 9

: ; < = > | @ A B C D E F Z

[القصص].

فجمع في آيةٍ واحدة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين[٧٩]!

لقد ولد نبي الله موسى عليه السلام في العام الذي كان فرعون يقتل فيه الغلمان، وهذا الأمر وقع بقدر من الله، فقال الله في هذه الآية محدثًا عن هذا الخبر: [. Z، وهو وحي إلهام [/ 0 1 2 3 Z

وهذا هو الأمر الأول في الآية، ثم قال تعالى: [5 6 7 8

9 : Z، وهذا هو الأمر الثانى فى الآية، وهنا يظهر لنا الأمران: فالأول هو أن ترضعه، والثانى هو أن تلقيه فى اليم إن خافت عليه.

ولما كان البحر مظنَّة هلاك وطريق موظَمْ أنَ اللهأمَّ موسى فقال:] ; < = > Z، وهذان هما النهيان فى الآية؛ فقد نهى الله أم موسى عليه السلام أن تخاف عليه من البحر، ونهاها أن تحزن لفراقه، فهو تحت رعاية الله.

ثم قال الله عز وجل:] @ A B Z، وهذه هى البشارةالأولى َ ؛ فقد بشر َّ الله أم موسىبردٍّ ولدها إليها للرضاعة مرة أخرى، وقال عز وجل:] C D E Z فى مستقبل أيامه، إن جاوز الأربعين وبلغ أشدَّه، وهذه هى البشارة الثانية.

آيتواحدة من كلام الرب تبارك وتعالى تضمَّنت أمرين:] 2 3 Z و] 8 Z، وتضمنت نهيين:] ; < = > Z، وتضمنت بشارتين:] @ A B C D E Z.

مثال آخر من تدبر الإمام عبد القاهر الجرجانى فى قول الله عز وجل:

[¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä
Å Æ Ç È Ê Ë Ì Í Î Z [هود].

يقول الإمام عبد القاهر فى دلائل الإعجاز: «معلوم أنَّ مبْدَأ الفعْل أن يكون فى الأرض ، ثم أُمِرَتْ ، ثم فى أنْ كان النداء بـ "يا" دُونَ "أى"، نحو: أيَّتها الأرض ، ثم إضافة الماء إلى الكاف، ثم أنْ أتْبَعَ نداءَ الأرض وأمْرَها بما هو من شأنها، نداءَ السماء وأمرَها كذلك بما يخَصُّها، ثم أنْ قيل: [Â Ã Ä Z فجاء الفعل على صيغة "فُعِل" الدالَّة على أنَّه لم يَغِض إلا أمراً وقُدرة قادرٍ ، ثم تأكيدُ ذلك وتقريرُه بقوله تعالى: [Å Æ Z ثم ذكرُ فائدة هذه الأمور، وهو: [È Ç Æ Z ثم إضمارُ السفينة قَبْل الذكْر، كما هو شرطُ الفخامة والدلالة على عِظَم الشأن، ثم مقابلة "قيل" فى الخاتمة بـ "قيل" فى الفاتحة؟ أتَرَى لشىء من هذه الخصائص التى تملؤك بالإعجاز ، وتحضر رُوعَك عندَ تصوُّرِها هيبةٌ تحُيطُ بالنَّفس من أقطارها، تعلُّقاً باللفظ من حيثُ هو صوتٌ مسموعٌ وحروفٌ تَتوالى فى النُّطق؟ أم كلُّ ذلك لما بينَ معانى الألفاظ من الاتِّساق العجيب؟ فقد اتَّضحَ إذن ضاحاً لا يَدَاتَّعُ للشكِّ مجالاً أنَّ الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هى ألفاظٌ مجرَّدة، ولا من حيثُ كَلِمٌ مفردةٌ، وأنَّ الفضيلة فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها، وما أشبهَ ذلك ممَّا لا تَعلُّقَ له بصريحِ اللفظ»(٨٠).

ويأتى علم اللغة الحديث بنظرياته ومناهجه ليضع أيدينا على حقيقة الإعجاز فى نظم القرآن بدقة وتحديد، على نحو ما يظهر لنا فى البيان الآتى:

أ- الإحكام والتماسك بين كلمات الآية:

النَّظْم القُرآنى على مستوى الآية نظم مُعْجِز، يظهر ذلك جليًّا إذا تأمَّلْنا الربْطَ والتَّماسُك بين كلمات الآية على نحوٍ متميِّز ومُتفرِّد، من ذلك قول الله ﷻ:

[d f g h i j k l m n o Z [هود].

وانظر إلى العلاقة بين [g h Z و [m Z فى آخر الآية؛ إذ الإحكامُ يحتاج إلى حكيم، وعلى المنوال نفسه قولُه ﷻ: [i j Z؛ فالتَّفصيل وبيانُ الدَّقائق يحتاج إلى خبير، وهذا إحكامٌ ما بعدَه إحكام.

وهكذا كُلَّما تدبَّرْتَ العلاقة بين كلمات الآية وختامها اكتشفْتَ الصِّلة القويَّة والتَّناسُب والتَّناغُم فى المعنى.

وقول الله تعالى:

[! " # $ % & ' ( ) * + , - .

: 9 8 7 6 5 4 3 1 0 / .

E D C B A @ ? > = < ;

Z L K J H G F [القصص].

خص ﷲ ﷻ النَّهار بذكر البصر؛ لأنه محلُّه، وفيه سلطان البصر وتصرُّفه، وخص اللَّيل بذكر السَّمع؛ لأن سلطان السَّمع يكون بالليل، وتسمع فيه الحيوانات ما لا تسمع فى النهار، لأنه وقت هدوء الأصوات وخمود الحركات، وقوة سلطان السمع وضعف سلطان البصر، والنهار بالعكس: فيه قوة سلطان البصر، وضعف سلطان السمع[٨١].

ب- الفاصلة فى القرآن الكريم (قيمة صوتية لها وظيفة دلالية):

- **الفاصلة بين التناسق الصوتى ورعاية المعنى:**

أودُّ هنا ـ بدايةً ـ توضيح ملاحظة تتصل بأدب السلف الصالح مع القرآن الكريم؛ حيث أطلقوا على نهايات الآيات القرآنية تسمية "رءوس الآيات"؛ تمييزًا لها عن مصطلحات الشعر والنثر، ففى الشعر نقول: صدر البيت وعجزه، وفى النثر نقول: بداية الجملة ونهايتها، فبداية الآية عندهم كنهايتها: رأس؛ أى مستوى من الارتفاع والارتقاء لا ينتهى ولا يهبط أبدًا، والوقف عند الرأس شيعُر بأن آيات القرآن قِمم

يرقى القارئ إليها، وكلَّما مضى فى القراءة ازداد رقيًّا، فهو صاعد أبدًا؛ حيث يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارقَ، ورتِّل كما كنت ترتل فى الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»(٨٢)، ومعلوم أن رءوس الآيات توقيفية؛ أى كما جاءت بالتلقى عن سيدنا رسول الله ﷺ.

ويلاحظ علم اللغة الحديث جملة من الحقائق اللغوية فى رءوس الآيات:

١. **التناسق الصوتى:** الذى يلفت الانتباه وتستريح له الأذن إلى حدٍّ يأخذ بالنَّفس، ولعله كان أحد الأسباب التى جعلت الوليد يقول بعد سماعه القرآن الكريم: «إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وهما من حسٍّ اللسان وحسٍّ الأذن.

وإذا ما حاولنا الكشف عن الظاهرة بأسلوب علمى، وذلك بتتبع أصوات الحروف والحركات التى تكوِّن هذه الفواصل بهذا التناسق الصوتى المبدع، فإننا نلاحظ الآتى:

أ- كثرة الحركات، وبخاصة الطويلة (حروف المد: الألف والواو والياء)، بما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام.

ب- كثرة ورود الصوامت المتوسطة: (النون، الميم، الراء، الواو، الياء)، وهى قريبة ـ من الناحية الفيزيائية ـ إلى طبيعة الحركات التى

تسهم فى خاصية التنغيم الشجى بشكل واضح.

جـ - تُدَعِّمُ هذا ظواهرُ صوتيةٌ خاصَّةٌ بالقرآن كالمَدِّ والغُنَّة.

وكل هذه العناصر الصوتية لا تكون بهذا التناسق الفريد فى غير القرآن من فنون الشعر والنثر.

- **سؤال اعتراضى:** هل هذا التناسب الصوتى هو من قبيل السجع؛ حيث يتوالى الكلام المنثور على حرف واحد ليكتسب النثر ضربًا من الموسيقى والنغم؟ أمْ هو من قبيل القافية فى الشعر؟

والجواب: لا هذا ولا ذاك؛ فالفاصلة فى القرآن الكريم ليست على وتيرة واحدة، كما هو الحال فى كلٍّ من السجع والقافية، فهى لا تلتزم شيئًا من ذلك؛ حيث تجرى فى عدد من آيات القرآن على نمط، ثم تتحول عنه إلى نمط آخر، ومن خلال جريها على نمط واحد، فأغلب ما تقوم عليه هو حرف المد الذى يسبق الحرف الأخير من الكلمة، كما فى هذه الآيات:

- , + *) (' & % $ # ! [

= < ; : 9 8 7 5 4 3 2 1 0 / .

J I H G F E D C B @ ? >

W V U T S R Q P O N M L K

Z \ [Z Y X [ق].

٢. والفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية: ورعايتها تؤدى إلى تقديم عنصر أو تأخيره، ليس رعاية للتناسق الصوتى فحسب، بل رعاية للمعنى أيضًا، وهذا هو ما يتفرد به القرآن الكريم.

- ومثاله قول الله ﷻ:

] 2 3 4 5 6 Z [الفاتحة].

فإذا سأل سائل: لِمَ قدَّم العبادة على الاستعانة؟ أجابَه اللُّغويُّون القدماء أصحاب الحسِّ المرهف، وعلى رأسهم الزمخشرى حيث قال: إنَّ العبادة وسيلةٌ، فقُدِّمتْ على طلب الحاجة؛ ليكونَ ذلك أدْعَى للاستجابة»(٨٣).

وقال الإمام ابنُ القيِّم: «هو من باب تقديم الغايات على الوسائل؛ إذ العبادةُ غايةُ العباد التى خُلِقوا لها، والاستعانة وسيلةٌ إليها.

ولأنَّ] 2 3 متعلِّق بألوهيته واسْمه "الله"،] 4 5 متعلِّق بربوبيَّته واسْمه "الرب"؛ فقدَّم] 2 3 Z على] 4 5 Z، كما قدَّم اسم "الله" على "الرب" فى أول السورة.

ولأن] 2 3 Z هُ الربِّ، فكان من الشَّطر الأول الذى هو

ثناءٌ على الله؛ لكونه أَوْلَى به،] 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ [إلى آخر السورة(٨٤).

ولأنَّ العبادة المطلقة تتضمَّن الاستعانةَ من غير عكس؛ فكلُّ عابد لله عبوديَّة تامة مستعينٌ به، ولاينعكس؛ لأنَّ صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته؛ فكانت العبادة أكمل وأتمَّ، ولهذا كانت قِسْمَ الربِّ.

ولأن الاستعانة جزء من العبادة، من غير عكس.

ولأن الاستعانة طلبٌ منه والعبادة طلبٌ له.

ولأنَّ العبادة لا تكون إلاَّ من مخْلِص، والاستعانة تكون من مخلصٍ ومن غير مخلص.

ولأنَّ العبادة حقُّ الذى أوجبه عليك، والاستعانة طلب العون على العبادة، وهو بيان صَدَقته التى تصدَّق بها عليك، وأداءُ حقِّه أهمُّ من التعرُّض لصدقته.

ولأنَّ العبادة شكر لك والله يحبُّ أنْ يُشكر، والإعانة فعله بك وتوفيقه لك، فإذا التزمت عبوديته ودخلت تحت رِقِّها أعانك عليها؛ فكان التزامُ تحت رِقِّها سببًا لنَيْل الإعانة، وكلَّما كان

العبد أتمَّ عبوديةً نكلت الإعانة من الله له أعظمَ، والعبوديةُ محفوفةٌ بإعانتين: قَبْلَها على التزامها والقيام بها، وإعانةٌ بَعْدَها على عبوديَّةٍ أخرى، وهكذا أبدًا حتَّى يقضي العبدُ نَحْبَه.

ولأن] 2 3 Z (له) ﷻ،] 4 5 Z (به) ﷻ، وما (له) مُدَّمٌ على ما (به)؛ لأنَّ ما (له) متعلِّقٌ بمحبَّته ورضاه، وما (به) متعلِّق بمشيئته، وما تعلَّق بمحبَّته أكملُ ممَّا تعلَّقَ بمجرَّد مشيئته؛ فإنَّ الكون كلَّه متعلِّقٌ بمشيئته، والملائكة والشياطين والمؤمنون والكفار والطاعات والمعاصي ذلك متعلِّقٌ بمشيئته، والمتعلِّق بمحبَّة طاعاتهم وإيمانهم، فالكفار أهل مشيئته، والمؤمنون أهل محبَّته؛ ولهذا لا يستقرُّ في النَّار شيء أبدًا، وكلُّ ما فيها فإنَّه (به) تعالى وبمشيئته.

فهذه الأسرار يتبين بها حكمة تقديم] 2 3 Z على] 4 5 Z »[٨٥].

ويضيف العلامة الطاهر ابن عاشور: «إنَّ العبادةَ تقرُّبٌ للخالق تعالى؛ فهي أجدرُ بالتقديم في المناجاة، وأمَّا الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه، فناسب أن يُقَدِّمَ المناجِي ما هو من عزمه وصنعه على ما يسأل مما يُعِينُ على ذلك. ولأنَّ الاستعانة بالله تترتَّب على كونه معبودًا للمستعين. ولأنَّ من جملة ما تُطْلَبُ الإعانةُ عليه العبادة؛ فكانت

متقدِّمةً على الاستعانة»[٨٦].

• كذلك، فإن الترتيب فى تقديم الصفات الخاصة بالله تعالى أو الأنبياء لإمرتبطٌ بالسياق، من ذلك قول الله تعالى:

@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 [

n m [: ﷻ وقوله ،[سبأ] Z G F E D B A

Z { z y x w u t s r q p o

[الحجرات].

فقدَّم الرحمة فى آية سبأ؛ لأنها منشأ المغفرة، أما الغفور فقُدَّم فى كلٍّ موضعٍ فى القرآن فيه ولو إشارةً إلى وقوع المعاصى وكفران النعم[٨٧].

• ومن بديع لغة التنزيل الكريم الآيات الآتية التى تنوَّعت فيها الفواصل لاختلاف المخاطَب فى كلٍّ منها؛ قال تعالى:

Q O N M L K J I H G F E [

] \ [Z Y X W V U T S R

j i h g f e d c b a ` ^

v u t s r q p o n m l k

¢ ¡ مِّنۡ ~ } | { z y x w

² ± ° ® ¬ « ª © ¨ ¦ ¥ ¤ £

3 ´ يُؤْمِنُونَ ¶ Z [الأنعام].

نوَّعَ فواصلُ الآيات الثَّلاث اختلاف المخاطَب بكلٍّ منها، ففى الآية الأُولى ذِكْرُ حركة الأفلاك والنُّجوم والاهتداء بها، وهذا من شأن العلماء؛ فناسَبَ ختم الآية بقوله ﷻ:] T U Z.

وفى الآية الثَّانية ذِكْرُ إنشاء الخلائق من نفس واحدة ونَقْلهم من الأصلاب إلى الأرحام ثمَّ من الحياة إلى الموت والنَّظَرُ فى ذلك كُلِّه يحتاج إلى تأمُّل وتدبُّر وتفكرٍ عميقٍ عُبِّر عن ذلك بالفقه وهو الفَهْمُ العميق؛ فناسَبَ ختم الآية بقوله ﷻ:] c d Z.

أمَّا الآية الثَّالثة ففيها ذِكْرُ نِعَم الله على عباده وسَعَةُ أرزاقه وتعدُّد أنواع الثِّمار والأقوات لمَنْ أقرَّ بذلك كان مؤمنًا؛ فناسَبَ ختم الآية بقوله ﷻ:] ´ يُؤْمِنُونَ Z(٨٨).

• أيضًا قول الله ﷻ فى موضعين متقاربين من سورة الفتح:

] H I J K L M N O P Q Z.

] ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª Z.

الآية الأولى ذِكْرُ النَّصر وما يترتَّب عليه من فتح مكة والمغفرة والهداية وإتمام النِّعمة مع ظهور صدِّهم لا قَوْا من عَنَت الكفار؛ لذا

ناسَبَ ختم الآية بقوله ﷻ:] Z P O N M ؛ أي غليماً بما يترتَّب على ذلك الصدِّ من الفتح وصلاح الأحوال حكيماً فيما دبَّرَه لك من كتاب الصُّلْح بينك وبينَ قريش فإنَّه كان سببَ الفتح.

الآية الثَّانية ذِكْرُ ما أعدَّ الله للمؤمنين من الجنَّات وتكفير السيِّئات، وللمشركين والمنافقين من العذاب؛ خُتِمت الآيةُ بقوله ﷻ:] ¦ § ¨ © Z ؛ أي قادراً على ذلك، حكيماً فيما يفعلُ من إكرام المؤمنين وتعذيب الكافرين(٨٩).

- قول الله ﷻ:

] « ¼ ½ ¾ ¿ Z [الليل].

لماذا قدَّم الآخرة على الأُولى مع أن مقتضى الظاهر تقديم الأولى على الآخرة؟ والجواب: أنَّ ذلك مرتبطٌ بسياق السورة ومقصدها؛ فقد قامت السورة لتأكيد سوء العاقبة والإنذار لمن كذَّب وأعرض بالتنكيل به في الآخرة، في مقابل الثواب الذي ينتظر مَن أحسنَ وتصدَّق، فإذا ما تحقَّق مع هذا المعنى الانسجامُ الصوتي وتناسب الإيقاع في الفواصل، فذلك لا يتمُّ على هذا الوجه من الكمال في غير النظم القرآني المعجز، ومن قال بالتقديم لرعاية الفاصلة فحسب فهو قصور عن فهم المعنى المراد؛ فالتقديم والتأخير يرتبطان بالسياق والمعنى المراد.

جـ - من أسرار التقديم والتأخير فى غير الفاصلة:

- **وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ـ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى:**

قال الله ﷻ فى سورة يس:

Z w v u t s r q p o n m [

وقال فى سورة القصص:

Ñ Ð Ï Î Í Ì Ë Ê É È Ç [

.Z Ù Ø × Ö Õ Ô Ó Ò

فى آية يس قُدِّم الجار والمجرور] n o p Z؛ لأن الرجل جاء ناصحًا لهم فى شأن مخالفة دينهم، فمجيؤه من البعد أنسب لدفع التهمة والتواطؤ فقُدِّم ذِكْرُ البعد لذلك.

وفى آية القصص لم يكن نصحه لترك أمر يشق تُركُه كالدِّين، بل لمجرد نصح موسى عليه السلام؛ فجاء على الأصل فى تقديم الفاعل على الجار والمجرور.

- **نرزقكم وإيَّاهم ـ نرزقهم وإيَّاكم:**

قال الله ﷻ فى سورة الأنعام:

] ³ ´ أَوْلَدَكُم ¶ ¸ ¹ º » ¼ Z.

وقال ﷻ فى سورة الإسراء:

V U T R Q P N M L K J [

.Z Y X W

قُدِّم ضمير المخاطب (الكاف) على ضمير الغائب (إيَّاهم) فى آية الأنعام؛ لأن الخطاب فيها للفقراء؛ فحَسُن أن يقال لهم: [« Z أولاً ؛ كى يزول ما بكم من فقر، ثم عطف عليهم أولادهم لإفادة معنى: نرزقكم جميعًا.

أمَّا فى آية الإسراء فقُدِّم ضمير الغائب: [Q Z، وتلاه ضمير المخاطب: [R Z؛ لأن الخطاب فيها للأغنياء، ولذلك استخدم فيها المفعول لأجله: [M Z؛ أى: بسبب خوفكم من احتمال تعرُّضكم للفقر فى المستقبل، فحَسُن أن يبدأ برزق الأولاد فقيل لهم: [P Q Z، فلن يصيبكم فقر بسببهم، ثم تلا ذلك ذكر رزق المخاطبين: [R Z.

- **السارق والسارقة ـ الزانية والزانى:**

قال ﷻ فى سورة المائدة:

[/ 0 1 2 Z.

وقال ﷻ فى سورة النور:

[+ , - . / 0 1 2 Z.

قُدِّم السارق على السارقة فى آية المائدة؛ لأنَّ الرجال أقوَى وأشدُّ جرأة وإقدامًا على السرقة من النساء بينما قُدِّمت الزانية على الزانى فى آية النور؛ لأن ابتداء الزنا هو من شأن النساء لتجمُّلهن وتزيُّنهن، وهنَّ اللاتى يُمكنَّ الرجال من الوقوع فى معصية الزنا.

كلُّ ذلك فَهْمٌ آتاه الله بعض عباده، وما أكثر أسرار النَّظم القرآنى المعجز.

٢. إعجاز النظم القرآنى على مستوى السورة:

أ- الإحكام والتماسك بين الآيات داخل السورة (السياق):

آيات القرآن يفسر بعضها بعضًا بشكل متفرد:

- من ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة:] # $ % & ' ( ) * + , Z، من هم المتقون؟ فيأتى البيان فى الآيات الآتية:

[- . / 0 1 2 3 4 5 6 7
8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F
G I J K L Z.

• وفى سورة المؤمنون:] ! " # $ Z، من هم المؤمنون؟ وتأتى الآيات الآتية لبيان أوصافهم:] % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = ?> @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] [Z.

• وفى سورة البينة:] D E F G H I J K L M N O P Z، وقد يسأل سائل: ما البينة؟ فيأتى البيان فى الآيات التى بعدها:] Q R S T U V W X Y Z [Z] Z.

ب- الإحكام والتماسك بين بداية السورة وختامها:

إحكام النَّظْم القرآنى على مستوى السُّورة يظهرُ فى العلاقة بين بداية السورة وآيات السورة، كما يظهر بين بداية السورة وختامها، وهى ميزة يتفرَّد بها القرآن ومن الشَّواهد على ذلك سورة الرحمن، فلهذه السورة نسقٌ خُاص ٌّ: إنها إعلام بآلاء الرحمن الباهرة الظاهرة، فى جميل صنعه،

وإبداع خلقه، وفى فيض نعمائه، وفى تدبيره للوجود وما فيه وتُوجِّه الخلائق كلها إلى وجهه الكريم، وهى إشهاد عام للوجود كله على الثقلين: الإنس والجن المخاطبين بالسورة على السواء، فى ساحة الوجود، على مشهد من كل موجود، مع تحدٍّ بها إن كانا يملكان التكذيب بآلاء الله، تحديًا يتكرر عقب بيان كل نعمة من نعمه التى يعدِّدها ويفصِّلها، ويجعل الكون كله معرضًا لها، وساحة الآخرة كذلك.

فبداية السورة] G Z جاءت جوابًا على من سألوا النبى ﷺ: وما الرحمن؟ فكان الجواب:] G Z.. وآيات السورة بعد ذلك بيان لصفاته وآلائه، آلاء الله فى الكون، آلاء الله فى الخلق، وآلاء الله فى الآخرة، ثم تذكير الإنس والجن بهذه النعم التى لا تنكر ولا تكذب لجلائها ووضوحها.

وفى الختام يأتى هذا الثناء العظيم على الرحمن:] V W X Y Z [\ Z، وكأن واقع حال السورة يقول تبارك اسمُ الله (الرحمن) الذى اتصف بكل هذه الكمالات وأفاض على خلقه بكل هذه الآلاء.

جـ - الإحكام والتماسك بين سور القرآن الكريم:

- إحكام النَّظم القرآنى مستوى السُّورة يظهر واضحًا إذا تدبَّرْنا

العلاقة والمناسبة بين ختام السورة وبداية السورة التى تليها، وقد تظهر هذه العلاقة والمناسبة بقرينة كما فى آخر سورة الواقعة:] ¦ §
¨ © ª Z، وبداية سورة الحديد:] » ¬ ® ¯ ° ± ´ ٱلْحَكِيمُ ¶ Z.

وكما هو واضح أيضا فى آخر سورة الإسراء التى فيها أمر بالحمد:
[s t u v w x y z { | } ~ ٱلْمُلْكِ ¡ ¢
£ ¤ ¥ ¦ | ¨ © ª Z، وبداية سورة الكهف بدأت بالحمد:
[« ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ لَّهُۥ ¶ ¹ Z.

وكما هو واضح أيضا فى آخر سورة الطور: [Ý Þ ß
à á â Z، وبداية سورة النجم: [! " # $ Z.

وكما هو واضح أيضا فى ختام سورة هود: [` a b
c d e f g h i j | l m n
o p q Z، وبداية سورة يوسف: [r | t u v
w x y z { | لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ¡ ¢ £
¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯
لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا

¾ ¿ À Á Â Ã Z، فقصص الأنبياء السابقين وأحوالهم فى الدعوة تسلية لقلب النبي ﷺ ـ هو وجه من وجوه الغيب.

وكما هو واضح أيضًا فى ختام سورة المائدة: [ê ë ì

Z ñ ò ó ô õ ö ، وبداية سورة الأنعام: í î ï

[! " # $ % & ' ( ) + ,

- . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8

: ; < = > ? @ A B C D E F G

I J K L M N O Z حيث تبين ٍ الآيات مظاهر طلاقة القدرة لله تعالى فى خلق الظلمات والنور، وخلق الإنسان من طين، وإحاطة علمه -؛ فيستوى عنده السر والجهر.

- وعلى المنوال نفسه تظهر الصلة بين ختام سورة الحج: [e

f g h i j k l m

n o q Z، وبداية سورة المؤمنون: [! " #

$ Z، فسبحان من هذا كلامه.

- وقد تكون العلاقة غير مباشرة، كما فى آخر سورة الإسراء وبداية سورة الكهف؛ حيث ختمت الإسراء بقوله تعالى: [s t u v

¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ ٱلْمُلْكِ ~ } | { z y x w

¨ © ª Z،وهذا حمدٌ على نعمة الله تعالى ووحدانيتوتجرُّده عن الشريك، وجاء افتتاح سورة الكهف بالحمد لله على نعمة القرآن بلا عوج وجعله قيِّمًا على سائر الكتب وبشرى للمؤمنين:] » ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ لَّهُۥ ¶ · ¹ º » ¼ ½

Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ Z É È، والجامع بين آية ختام الإسراء وآية بداية الكهف هو تعداد النعم التى تستوجب الحمد لله تعالى.

٣. إعجاز المجاز القرآنى:

للمجاز بأنواعه المختلفة مكانةٌ كبيرةٌ فى لُغة العرب وقَدْ جَاءَ فى القرآن فن التَّشْبيه والاستعارة وغيرهما من ضروب المجاز مما أعجزَ العربَ، كقول الله ﷻ:

• [¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² Z [يس].

عبرَّت الآية الكريمةُ عن زوال ضوء النَّهار أمام ظُلمة اللَّيل بلفظ "نَسْلَخ"، وفيه إشارةٌ إلى طُغيان الظُّلمة وسيطرتها، وأنَّ حالة الظلام أصلٌ والنُّور فرع طارئ، وفى هذا المجاز الرائع ـ بالإضافة إلى ما فيه من روعة البيان ـ إعجازٌ علميٌّ حيث تشير الآية إلى أنَّ الله تعالى ينزع نور

النهار من أماكن الأرض التي يتغشَّاها الليل بالتدريج كما ينزع جلد الذبيحة عن كامل بدنها بالتدريج، وذلك لا يكون إلا بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس.

وفى هذا النص القرآنى سبق بالإشارة إلى رقة طبقة النهار فى نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس، وتلك حقيقة لم يدركها الإنسان إلا بعد ارتياد الفضاء فى النصف الثانى من القرن العشرين، حيث تم إثبات أن سُمْكَ طبقة النهار حول الأرض لا يتعدَّى مائتى كيلو متر فوق سطح البحر، وإذا ليس ذلك إلى المسافة التى تفصل بيننا وبين الشمس والمقدَّرة بنحو مائة وخمسين مليونًا من الكيلو مترات ـ فإنها لا تتجاوز نسبة واحد إلى سبعمائة وخمسين ألفًا، وإذا ليس ذلك إلى الجزء المدرك من الكون والمقدر بأكثر من عشرة مليارات من السنين الضوئية ـ اتَّضحت ضآلته، واتضحت كذلك لمحة الإعجاز القرآنى فى تشبيه انحسار طبقة النهار الرقيقة عن ظلمة الليل بسلخ جلد الذبيحة الرقيق عن كامل بدنها، وفى التأكيد على أن الظلام هو الأصل فى الكون، وأن نور النهار ظاهرة رقيقة عارضة لا تظهر إلا فى الطبقات الدنيا من الغلاف الغازى للأرض فى نصفها المواجه للشمس(٩٠).

- ومن محاسن التشبيه كمال الشَّبَه، ووسيلة ذلك الاحتراس ،

وأحسنُها وقَعَ فى القُرآن الكريم كقول الله تعالى:] V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p Z [محمد: ١٥]، واهذْاـتراس ٌ عن كراهة الطَّعام، وقوله تعالى:] m n o p Z [التراس ٌ عن أنْ تتخلَّلَ القْأذاء ٌ من بقَليط ْلـه[٩١].

- ومن بليغ الاستعارة قوله تعالى:] § ¦ ¥ ¤ £ ¨ Z [الإسراء: ٢٤].

أمَرَ الله تعالى الولدَ بأنْ يلِينَ جانبَه للوالدَيْه ويتواضعَ لهما؛ فاستعار لفظ الجناح مُنبِّهًا به على المبالغة فى طلب أنْ يكون الولد لأبَوَيْه كالطَّائر لفرخه فى خَفْض محبَّته وحُنُوِّه وعطفه عليه فجعل الذل طائرًا على طريق الاستعارة، ثم رَمَزَ له ما للطَّائر من الآلات والجوارح، ثم أضاف الجناح إلى الذل ؛ رعايةً لمزيد البيان حَيْثُ نزَّلَ التَّواضُعَ منزلةَ الجناح فى التصاقه بالتراب وإسباله فى التغطية للفرخ، مبالَغةً فى اللِّين والرقَّة وحُسْن التذلُّل للوالدين[٩٢].

- ومن ألطف ما جاء من المجاز فى القرآن الكريم قول الله تعالى:] B C D E F Z [النحل: ١١٢].

لمَّا ابتلاهم الله تعالى ـ لكفرهم ـ باتِّصال هاتين البليتين (الخوف والجوع) استعارَ للِّباسَ لدوام هذه الحال لاشتمالهِ ما عليهم، بما للِّباس من التغطية والستر والاسترسال، فكأنَّ ما يُرَى على الإنسان عند شدة الجوع والخوف من الضَّعف والهزال، وانتقاع اللون، وصفرة الوجه، ورثاثة الهيئة، وسوء الحال، وحصول القلق والفشل يُضاهي الملابس في اشتمالها على لابسها، وبالغ في شدَّة ما أصابهم بلفظ «فأذاقها» ولم يقل: «فكساها»؛ لأن الذَّوق أبلغ في الإحساس وأدخل في الإيلام(٩٣).

وصدَق رسول الله ﷺ إذْ يقول: «إنَّ هذا القُرْآنَ حَبْلُ الله، فتَعَلَّمُوا من مأْدُبَةِ الله ما استَطَعْتُمْ، فإنَّ هذا القُرْآنَ حَبْلُ الله هو النُّورُ المُبِينُ، الشَّافِعُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ، ولا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، ولا تنقضي عجائبُهُ، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرَّدِّ»(٩٤).

فسبحان من هذا كلامه، وما يعقلها إلا العالمون،
وما يذكَّر إلا أولو الألباب.

هوامش البحث

(١) لسان العرب / ابن منظور. ـ القاهرة: دار المعارف، [-١٩]، (ع ج ز).

(٢) دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجانى؛ تحقيق محمود محمد شاكر. ــ القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٩٨٤، ص ٣٩، ٤٠ بتصرف.

(٣) انظر: التحرير والتنوير / الطاهر ابن عاشور. ــ تونس: دار سحنون، ١٩٩٧، ١ / ١٠٤، ١٠٥.

(٤) لسان العرب / ابن منظور. ـ القاهرة: دار المعارف، [-١٩]، (ب ى ن).

(٥) البيان والتبيين / الجاحظ؛ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ــ ط١. ــ القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨، ص٥٤.

(٦) البيان والتبيين / الجاحظ؛ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ــ ط١. ــ القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨، ص٥٤، ٥٥.

(٧) إعجاز القرآن / الباقلانى؛ تحقيق السيد أحمد صقر. ــ ط٥. ــ القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٧، ص٤١٩.

(٨) وحى القلم / الرافعى. ـ ط١. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠، ١ / ١٠.

(٩) معلوم أن الحركات الطويلة (حروف المد) لها دلالة عامة على إشباع المعنى، ثم يأتى السياق بتحديد الدلالة المقصودة بالإشباع.

(١٠) تُنظَر فواصل الآيات: ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨ من سورة القيامة.

(١١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل / الزمخشرى. ــ ط٣. ــ بيروت: دار الكتاب العربى، ١٩٨٦، ٤ / ٦٦٤.

(١٢) العربية وعلم اللغة الحديث / د. محمد محمد داود .ـ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١م، ص٣٣.

(١٣) المخصص / ابن سيده؛ تحقيق خليل إبراهيم جفال. ـ ط١. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربى، ١٩٩٦، ١ / ٤١١.

(١٤) الخصائص / ابن جنى؛ تحقيق محمد على النجار. ـ ط٣. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ٢ / ٣٤٢.

(١٥) نظام الغريب فى اللغة / عيسى الربعى. ـ ط٢. ـ القاهرة: مؤسسة الكتب الثقافية،١٩٨٧، ص٦١: ٦٥.

(١٦) التحرير والتنوير / الطاهر ابن عاشور. ـ تونس: دار سحنون، ١٩٩٧، عند تفسير الآية.

(١٧) الإتقان فى علوم القرآن / السيوطى؛ تحقيق د. محمد متولى منصور. ـ ط١. ـ القاهرة: مكتبة التراث، ٢٠٠٧، ٣ / ١٧١: ١٧٤بتصرف.

(١٨) المثل السائر / ابن الأثير، ١ / ٢٢٩.

(١٩) إعجاز القرآن / الرافعى، ٢٦١.

(٢٠) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية / الجوهرى؛ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ـ ط٤. ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧، (ض ى ز).

(٢١) راجع: البيان فى روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى / د. تمام حسان. ـ ط١. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣.

(٢٢)، (٢٣) انظر: دراسة إحصائية لجذور مفردات اللغة العربية: الجذور غير

الثلاثية / د. على حلمى موسى. ـ الكويت: جامعة الكويت، ١٩٧٢. عربية القرآن / د. عبد الصبور شاهين. ـ القاهرة: مكتبة الشباب، ٢٠٠٠، ص١٠٢.

(٢٤) تفسير المحرر الوجيز / ابن عطية، ١ / ٣٨، ٣٩.

(٢٥) مقاييس اللغة (ب ع د).

(٢٦) اللسان (ب ع د).

(٢٧) الكشاف ٢ / ٢٩١.

(٢٨) البحر المحيط ٥ /٢٥٨. وانظر : مفردات الأصفهانى (ب ع د).

(٢٩) مقاييس اللغة، الصحاح، اللسان (ش ر ى).

(٣٠) مفردات الأصفهانى (ش ر ى).

(٣١) الكشاف ١ / ٣٠١.

(٣٢) الكشاف ١ / ٣٥٢.

(٣٣) البحر المحيط ٣ /٢٩٥، الكشاف ١ / ٤٥٢.

(٣٤) الكشاف ٢ / ٣٠٩.

(٣٥) انظر: خصائص التعبير القرآنى ٢ / ٣٢٥، ٣٢٦.

(٣٦) الكشاف ٤ / ٧٥، التحرير والتنوير ٢٨ / ٣٧، ٣٨.

(٣٧) المقاييس، اللسان (ب أ س).

(٣٨) مفردات الأصفهانى (ب ؤ س).

(٣٩) البحر المحيط ٢ /٨.

(٤٠) انظر: اللسان (س خ ر).

(٤١) اختلف القراء فى (سخريًّا) فى آيتى المؤمنون وص، فقرأهما المدنيان وحمزة والكسائى وخلف بضم السين فى الموضعين، وقرأ الباقون بكسر السين فى الموضعين، واتفقوا جميعًا على ضم السين فى آية الزخرف؛ لأنها من السُّخْرة لا من الهُزء (النشر فى القراءات العشر ٢/٣٢٩)، والمعتمد هنا قراءة من قرأ بكسر السين فى الموضعين المذكورين، ومنهم حفص عن عاصم.

(٤٢) الكشاف ٣/٤٤، ٣/٣٨٠.

(٤٣) القرطبى ١٢/١٥٥.

(٤٤) البحر المحيط ٦/٤٢٣.

(٤٥) اللسان (س ل م)، وانظر: الصحاح، التهذيب، مقاييس اللغة (س ل م).

(٤٦) النهاية، اللسان (س ل م).

(٤٧) الكشاف ١/٣٥٣.

(٤٨) البحر المحيط ٢/١٠٩.

(٤٩) نقله الطاهر ابن عاشور فى: التحرير والتنوير ٢/٢٧٦.

(٥٠) انظر: الكشاف ٢/١٦٦، ٣/٥٣٩، البحر المحيط ٤/٥١٣، ٨/٨٥.

(٥١) الكشاف ١/٥٥٢، ٢/٤٠٧، ٢/٤٢٤.

(٥٢) الكشاف ٣/٣٩٧.

(٥٣) كمال اللغة القرآنية، ص ١٠٢.

(٥٤) مقاييس اللغة، اللسان (ك ر هـ).

(٥٥) اللسان (ك ر هـ).

(٥٦) هذا على قراءة عاصم، وهو ما يوافق رسم المصحف، وقد اختلف القُرَّاء فى بعض هذه المواضع، ولكنهم أجمعوا على ضم الكُره فى سورة البقرة (ينظر: المفصل فى القراءات).

(٥٧) التحرير والتنوير ٢/ ٣٢٠، ٣٢١.

(٥٨) على قراءة عاصم، واختلف فيه القراء، ولم يجمعوا إلا على ضم كلمة (الكُره) فى سور البقرة، كما سبق.

(٥٩) الكشاف ١/ ٣٤.

(٦٠) التفسير القيم ص٣٣.

(٦١) بدائع الفوائد ١/ ٢٣.

(٦٢) كشف المعاني فى متشابه المثانى ص٥٠.

(٦٣) الكشاف ١/ ٥٥٣، ٢/ ٩٢، ٢/ ٤٢٦؛ وانظر: شرح الرضى على الكافية ٢/ ٢٢٠؛ الأشباه والنظائر للسيوطى ٢/ ٢٠١: ٢٠٦؛ الكليات لأبى البقاء، ص ٢٣٢؛ شرح المفصل لابن يعيش ٦/ ٨٢، ٨٣.

(٦٤) مقاييس اللغة/ ابن فارس؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون. ـ ط٢. ـ شركة ومطابع مصطفى البابى الحلبى، ١٩٧٢، (ب ر ر).

(٦٥) تهذيب اللغة/ الأزهرى؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون؛ مراجعة محمد على النجار، على محمد البجاوى. ـ القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ١٩٧٥. مقاييس اللغة/ ابن فارس؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون. ـ ط٢. ـ شركة ومطابع مصطفى

البابى الحلبى، ١٩٧٢. لسان العرب/ ابن منظور. ـ القاهرة: دار المعارف، [-١٩]، (ب ر ر).

(٦٦) لسان العرب/ ابن منظور. ـ القاهرة: دار المعارف، [-١٩]، (ب ر ر).

(٦٧) المفردات فى غريب القرآن/ الراغب الأصفهانى، تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى. ـ بيروت: دار المعرفة، [-١٩]، (ب ر ر).

(٦٨) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته/ د. أحمد مختار عمر. ـ القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠١، ص٢٣٥.

(٦٩) معانى الأبنية فى العربية/ د. فاضل صالح السامرائى. ــ ط١. ــ عمان: دار عمارللنشر، ٢٠٠٥، ص١٤٣.

(٧٠) معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم/ د. محمد محمد داود. ـ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨، ص٤٦٨، ٤٦٩.

(٧١) لسان العرب/ ابن منظور. ـ القاهرة: دار المعارف، [-١٩]، (ع ى ن).

(٧٢) معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم/ د. محمد محمد داود. ـ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨، ص ٤٨٩، ٤٩٠. وانظر: الاشتراك والتضاد فى القرآن الكريم: دراسة إحصائية/ د. أحمد مختار عمر. ــ ط١. ــ القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٣، ص١١٥، ١١٦.

(٧٣) تهذيب اللغة، الصحاح، لسان العرب (ر و ح).

(٧٤) مفردات الأصفهانى، عمدة الحفاظ (ر و ح).

(٧٥) معانى القرآن/ الفراء ٢/ ٢٦٩.

(٧٦) الكشاف ٣/ ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٧٧) فى ظلال القرآن/ سيد قطب. ـ ط ٢٧. ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٨، ٥/ ٣١٧١.

(٧٨) راجع بتوسع: البيان فى روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى/ د. تمام حسان. ـ ط ١. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣، ص ٣٢٠: ٣٢٦ بتصرف.

(٧٩) الجامع لأحكام القرآن الكريم/ القرطبى. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربى، ١٩٨٥، ١٣/ ٢٥٢.

(٨٠) دلائل الإعجاز/ عبد القاهر الجرجانى؛ تحقيق محمود محمد شاكر. ـ القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٩٨٤، ٢/ ٤٥، ٤٦.

(٨١) التفسير القيم/ ابن قيم الجوزية؛ تحقيق محمد حامد الفقى. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨، ص ٤٢٦.

(٨٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٦٥٠٨)، والنسائى فى سننه (٨٠٥٦)، وابن حبان فى صحيحه (٧٦٧)، وقال الألبانى فى صحيح الترغيب والتهذيب: حسن صحيح (١٤٢٦).

(٨٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ الزمخشرى. ـ ط ٣. ـ بيروت: دار الكتاب العربى، ١٩٨٦، ١/ ١٤، ١٥.

(٨٤) إشارة إلى الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد:] & ') (Z قال الله تعالى:

حمدنى عبدى، إذا قال:] + , Z قال الله تعالىأثنى علىَّ عبدى، وإذا قال:] . / 0 Z قال: مجَّدنى عبدى، فإذا قال:] 2 3 4 5 Z قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال:] 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D Z قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل» [صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة، (١/ ٢٩٦)، رقم (٣٩٥)].

(٨٥) التفسير القيم/ ابن قيم الجوزية؛ تحقيق محمد حامد الفقى. ــ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨، ١/ ١٤، ١٥.

(٨٦) التحرير والتنوير/ الطاهر ابن عاشور. ــ تونس: دار سحنون، ١٩٩٧، ١/ ١٨٣، ١٨٤.

(٨٧) معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم/ د. محمد محمد داود. ـ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨، ص٦٢٢.

(٨٨) معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم/ د. محمد محمد داود. ـ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨، ص٥١١، ٥١٢.

(٨٩) معجم الفروق الدلالية فى القرآن الكريم/ د. محمد محمد داود. ـ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨، ص٥١٢، ٥١٣.

(٩٠) ***www.elnaggarzr.com***.

(٩١) التحرير والتنوير/ الطاهر ابن عاشور. ــ تونس: دار سحنون، ١٩٩٧، ١/ ١٠٩.

(٩٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز / العلوى الطالبى. ــ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٠، ١ / ١٢١، ١٢٢.

(٩٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز / العلوى الطالبى. ــ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٠، ١ / ١٢٤.

(٩٤) خرجه ابن نصر المروزى فى قيام الليل (١ / ١٧١). وقال عنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة: هذا إسناد لا بأس به فى المتابعات.

مؤلفات الدكتور محمد داود

فى مجال الدراسات اللغوية:

- القرآن الكريم وتفاعل المعانى (جزءان)، نشر دار غريب.
- الدلالة والحركة فى العربية المعاصرة، نشر دار غريب.
- الدلالة والكلام فى العربية المعاصرة، نشر دار غريب.
- العربية وعلم اللغة الحديث، نشر دار غريب.
- الصوائت والمعنى فى العربية، نشر دار غريب.
- اللغة والسياسة فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر، نشر دار غريب.
- حرب الكلمات فى الغزو الأمريكى للعراق، نشر دار غريب.
- دموع الشوباشى بين يدى سيبويه، نشر شركة يمامة للإنتاج الإعلامى.
- اللغة وكرة القدم، نشر دار غريب.
- لغويات محدثة، نشر دار غريب.
- جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية. نشر دار غريب.

- كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم نشر دار المنار.
- معجم التعبير الاصطلاحى فى العربية المعاصرة، نشر ـ دار غريب.
- معجم ألفاظ الكلام فى العامية المعاصرة، نشر دار غريب.
- المعجم الوسيط واستدراكات المستشرقين، نشر دار غريب.
- معجم الفروق الدلالية بين كلمات القرآن، نشر دار غريب.
- جدلية اللغة والفكر، نشر دار غريب.
- كلمات القرآن عبر الزمن (لماذا كتب لها الخلود؟)، دار الهلال.
- اللغة فى محراب القدس (شريك المقاومة وسجل الحقائق)، نشر دار الهلال.

فى مجال تحقيق التراث:

- كشف المعانى فى متشابه المثانى، لابن جماعة، نشر دار المنار.
- شرح كافية ابن الحاجب، لابن جماعة، نشر دار المنار.

- مشتبهات القرآن الكريم، للكسائى، نشر دار المنار.
- معجم الألفاظ القرآنية، للقليبى، نشر دار الآداب.
- المختار من مدائح المختار ﷺ للشاعر الشهيد يحيى الصرصرى، نشر دار المنار. (فاز هذا الكتاب بجائزة مجمع اللغة العربية عن تحقيق التراث لسنة ٢٠٠٤).
- تحية الوداع للأديب كامل كيلانى، نشر دار المنار.

فى مجال الدعوة الإسلامية:

- آلام أمة بين القدس وغدر اليهود، نشر دار المنار.
- مواقف وعبر (٥ج×١مج)، نشر دار المنار.
- موعظة البقاع الشريفة بمكة والمدينة، نشر دار المنار.
- القرآن وصحوة العقل، نشر دار المنار.
- الملاذ الآمن، نشر دار المنار.